

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف . المسيلة

ميدان: لغة وأدب عربي

فرع: أدب عربي

تخصص: أدب حديث



كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

رقم التسجيل: L15/191

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي

إعداد الطالبة: نوال حرزي

بغنوان

الاغتراب في شعر فدوى طوقان

تاريخ المناقشة: 2017_05_22

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة المسيلة	د. سعدون محمد
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	د. مبرك حسين
مناقشا	جامعة المسيلة	أ. ابراهيم صالح

السنة الجامعية: 2017 / 2016

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الإهداء

إلى أسرتي الكريمة

التي ارتضت الإيثار والتضحية والمكابدة

وقبلت التحدي وخاصة جوهرة قلبي وزهرة عمري

إلى رفيقة دربي إلى أملي

"أمي" التي أنزعت همومي فكانت الريحانة في رحلة الاغتراب واقعا وحننا

أمي الغالية "نعيمه"

نوال

شكراً و عرفان

نحمد المولى العلي القدير على توفيقه و عونه لنا في اتمام هذا العمل
التواضع

و إنه لشرف لي أن أتقدم بخالص الشكر و التقدير للأستاذ الفاضل مبروك
حسين الذي تفضل بالإشراف على هذه الذكرى، و قدم لي يد العون
والمساندة، و لم يبخل على بوقته و جهده، فكان للإرشادات الأثر الكبير في
انجاز هذا العمل.

كما أتوجه بشكري إلى اللذين أفادوني بنصائحهم القيمة و الذين
زودوني بالمادة العملية.

إلى كل عمال المكتبات، و أخيراً بالذكر مكتبة

روان للخدمات الجامعية و على رأسها الزميل عبد النعم بركاتي الذي
سهر على انجاز هذا العمل و إخراجها على هذه الحلة.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فموضوع هذه الدراسة " الاغتراب في شعر فدوى طوقان " هاته الظاهرة التي عانى منها الكثير من الشعراء و الأدباء، إذ تعد من الدوافع الفطرية التي تعد من الدوافع الفطرية المرتبطة بالوجود الانساني أينما وجد، و في كل الأزمان و لا يدرك البعد الوجداني لهذه الظاهرة و قوة اتصالها بالنفس الإنسانية، إلا من عاشها، و قدر لنا أن نعيشها مما شدنا لدراستها متخذين شعر فطوى طوقان في التغرب و النوى، إن الشعر نفس الشاعر و هواءه الذي يتنفس به، فكان لزاما على الشعراء أن يتخذوا من الشعر تعبيرا عن آهاتهم و أحزانهم وحبهم وغربتهم واغترابهم، هذا الاغتراب الذي يعد ظاهرة قديمة قدم الإنسان في هذا الوجود، فمنذ أن تكونت المجتمعات الأولى نشأت معها، و في ظلها الأزمات التي كانت تتمخض بشكل أو بآخر عن أنواع من الاغتراب عانى منها الفرد، وواجهها وفق حجم طاقاته العادية و الروحي، فقد تقوده إلى التمرد و العصيان، مثلما قد تقضي به إلى الاستسلام، و الانعزال و الانكفاء على الذات، و هو مسألة مهمة من مسائل الحياة تدعونا الى التأمل فيها، فتتقلب ظروف الاغتراب كيف شاءت، و تسقط بالشاعر إلى دروب سحيقة فيعيش بذلك عالم الاغتراب، فأخذت الاغتراب في شعر فدوى طوقان التي عانت الاغتراب بأنواعه النفسي و الاجتماعي الذي يؤدي إلى فقدان الانسان لروابطه الأولية و عزلته، و يقصد بهذه الروابط علاقته بمجتمعه المحلي من الأقارب و الأصدقاء.

لقد طرق موضوع الاغتراب الكثير من شعراء الشعر الحديث و المجهر و من بينهم: إيليا أبو ماضي، نسيب عريضة...و غيرهم، و تناوله التراث الأدبي العربي القديم، و قلما أولوا العناية بالشعراء الفلسطينيين " المغتربين " وبخاصة في التجربة النسوية، و من هنا جاءت مشكلة هذه الدراسة في سؤال:

ماذا أضافت فدوى طوقان إلى شعر الاغتراب؟ وكيف كانت تجربتها معه؟ وما مظاهره و أشكاله؟

و دراسة ظاهرة الاغتراب في شعر فدوى تهدف إلى ابراز الجانب الانساني المرتبط بالجانب النفسي و الاجتماعي في حياة الشاعرة، و ما يميز هذه الدراسة أنها لم تتناول الشعراء البارزين الذين ذكرتهم الدراسات السابقة، و خاصة فيما يتعلق بموضوع الاغتراب و أن هذه الدراسة سلطت الضوء على الشعر النسوي و أولت له اهتماما ملحوظا.

ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع، خصوبة المادة الشعرية للشاعرة مما يجعلها جديرة بالدراسة، بالإضافة إلى عدم وجود دراسة مستقلة أو كتاب يتناول الاغتراب في شعر فدوى طوقان، غير أن هناك دراسة للدكتور حسام عمر التميمي، و كتاب فدوى طوقان لإبراهيم العلم، تناول فيه نشأة الشاعرة و خصائص شعرها، و هذه الدراسات في مجملها و الكتب، لم تخرج عن الدائرة الذاتية و الاجتماعية البسيطة في تناول هذه الظاهرة، إلا أنني تحصلت عليها بفضل الأصدقاء و الزملاء، و من الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة، منها:

- شح و قلة المراجع التي تناولت الاغتراب و ارتباطه بالشاعرة.

أما خطة هذه الدراسة فجاءت في مقدمة و مدخل و فصلين و ملحق و خاتمة، اتبعت فيها المنهج الوصفي التحليلي.

إذ جاء المدخل مشيرا إلى ظاهرة الاغتراب تعميما و شرحها و تمهيدا، و جاء الفصل الأول لهذه الدراسة بعنوان " الاغتراب في الشعر و ماهيته" و قسمته إلى ثلاثة مباحث، كان المبحث الأول عن الاغتراب لغة و اصطلاحا و دواعيه، في حين خصص المبحث الثاني لأنواع الاغتراب أما المبحث الثالث فقد تطرق للاغتراب و أهميته و أبعاده، أما الفصل الثاني فقد جاء تحت عنوان " فدوى طوقان و تجربة الاغتراب" و الذي قسم هو الآخر إلى أربعة مباحث، حيث تكلم المبحث الأول عن علاقة فدوى طوقان بالاغتراب، و كيف كان

شعرها محطة لهذه الظاهرة، أما الثاني فقد عالج عوامل الاغتراب في شعرها، متناولة في ذلك بعض العوامل التي أدت بالشاعرة إلى الاغتراب كالعامل الاجتماعي، أما المبحث الثالث فكان عن مظاهر الاغتراب في شعر فدوى طوقان أو تجلياته، كالاغتراب الاجتماعي و المكاني، في حين جاء مبحثه الأخير حول البحث عن الذات مع تجربة طويلة مع الاغتراب.

و أعقت هذين الفصلين بملحق و خاتمة استعرضت فيها خطة الدراسة استعراضا مبسطا، إذ لخصت فيها أهم ما جاءت به الدراسة من نتائج، و أردفت ذلك بقائمة للمصادر و المراجع أهمها: لسان العرب لابن منظور، الاغتراب و البطل القومي لصالح نيتزي، و الاغتراب تحليل اجتماعي و نفسي لأحوال المغتربين لطالب ياسين، و فدوى طوقان لإبراهيم الحكم، و فدوى طوقان رحلة جبلية، و الاغتراب في الثقافة العربية لحليم بركات، و بعض الدراسات كتجربة الاغتراب للدكتور عمر التميمي، و هذا ما جعلني أستفيد من هاته المصادر و المراجع في الادب الحديث بشكل عام و حسبي في ذلك انني قد بذلت ما بوسعي من جهد، لا أزعم أنني قد بلغت فيه مرحلة الكمال، و أشكر الأستاذ مبروك الحسين على مجهوداته في نجاح هذا المشروع المتواضع.

مذہب

الاغتراب ظاهرة قديمة قدم التاريخ البشري، على مر العصور، و قد أصل لها اللغويون فأوردوها باشتقاقاتها، و أوضحوا معانيها، إلا ان هذه الظاهرة تختلف في شدتها بين الماضي و الحاضر فازدادت تعقيدا تبعا للتطور الحضاري المادي، و بصورة تتعارض مع انتماءات الانسان، فبدأت تأخذ بعدا فلسفا و عقائديا و اجتماعيا، إن مصطلح الاغتراب من أكثر المصطلحات تداولا في الكتابات التي تعالج مشكلات المجتمع، و الاغتراب في نظر الكثيرين من المفكرين و الكتاب، من أهم السمات المميزة للعصر الحديث، و على الرغم من ذلك يرى بعض الباحثين أن المفاهيم المتعلقة بهذه الكلمة (الاغتراب)، ما تزال تعاني كثيرا من الغموض، و حينما تطرح مفاهيم الاغتراب بأنها كثيرا ما تكون مختلفة، و لذلك تضاربت الآراء و الأقوال و الاتجاهات في تحديه، نظرا إلى عدم وجود دقة في ضبطه، إن كلمة " الاغتراب" كلمة انتقلت إلى مجالات متنوعة، و عبر مراحل تاريخية متعددة، دلالاتها ومعانيها في الفن و الأدب و بخاصة الشعر و علم النفس، و نموذجا في ذلك شعر فدوى طوقان الذي مرجع سابق جوانب في اغترابها النفسي و الاجتماعي، التي عانتها فدوى طوقان (الانفصال)، و هو فقدان الوحدة مع البنية الاجتماعية و مع البنية الذاتية.

و هنا نلمس أن الاغتراب يمس جانبا من جوانب أزمة الإنسان الحديث، فقد أصبح انسان هذا العصر منفصلا انفصالا حادا لم يسبق له مثل سواء عن الذات أو المجتمع أو الزمان و الحاضر.

شعور إنسان مغترب عانى من توتر نفسي و قلق مؤرق و انفصال اجتماعي، في بيئة يقال عنها أنها بيئة اجتماعية رافضة لكل تغيير ما يؤدي إلى عدم القدرة على الانسجام مع أفراد مجتمعه و الإحساس بالضياع و الظلم، و فقدان الحرية و القدرة الفلسطينية " فدوى طوقان" و هنا إشارة إلى أن الاغتراب متأصل في النفس الانسانية، و هو مسألة مهمة من مسائل الحياة و جوانبها و مجالاتها.

الفصل الأول

مفهوم الاغتراب في الشعر و ماهيته

المبحث الأول: مفهوم الاغتراب

أولاً: تعريف الاغتراب لغة و اصطلاحاً

ثانياً: أسباب الاغتراب و دوافعه.

المبحث الثاني: أنواع الاغتراب في الشعر

المبحث الثالث: أهمية الاغتراب أبعاده و دلالاته

المبحث الأول: مفهوم الاغتراب

أولاً: تعريف الاغتراب لغة و اصطلاحاً

الغربة في اللغة لها معان عدة، فهي تعني النزوح عن الوطن¹ ، فيقال: عرب عن وطنه غرابة و غربة أي ابتعد عنه² ، و الغربة تعني النوى و البعد، أي " البين"، و يقال غرب في الأرض، أمعن فيها فساغر سفراً بعيداً، و غرب: أي بعد، و يقال أغرب عني: أي تباعد، و أغرب كلامه: أتى بالغريب البعيد لمن الفهم، و يقال: رمى فأغرب: أبعد المرمى³ ، و المغرب: المعبد في البلاد، و غربت الشمس، تغرب غروباً: بعدت و احتجبت، و جاءت الغربة بمعنى الاغتراب و التغرب، فتقول: اغترب و تغرب: نزع عن الوطن، و الاغتراب افتعال من الغربة، و هو مأخوذ منها، و اغترب الرجل: نكح (تزوج) في الغرائب، تزوج إلى غير أقرابه⁴ ، و " الغرب " من مشتقات علما التغرب، و هي الذهاب و التثحي من الناس، و قد غرب عنا يغرب غرباً، و غرب و أغرب: نحاه، و من المشتقات أيضاً كلمة " التغريب" و كذلك من معانيها و دلالاتها: النفي عن البلد، و كلمة التغريب تدل على معنيين: الأول يدل على الغربة المكانية، و الثاني يدل على الغربة الاجتماعية، و ما تعنيه من معني في نفس السياق كالنفي عن البلد.⁵

و الغريب: البعيد عن وطنه، ورجل غريب: ليس من القوم، و لا من البلد⁶ ، أي لم يكن من أبنائه، و غير مرتبط بهم بقرابة أو ميزة فكرية أو ثقافية تشده إليهم، و لكن في المجال النفسي قد يكون الانسان بين أهله و مجتمعه، و لكنه يشعر بأنه غريب بسبب

¹ ابن منظور، لسان العرب (باب الباء فصل الغين)، ط3، دار احياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، 1999، ج10، ص966.

² ابراهيم أنيس و آخرون، المعجم الوسيط (مادة غرب)، ط2، القاهرة، مصر، 1982، ص637.

³ المصدر نفسه، (مادة غرب)، ص ن.

⁴ المصدر نفسه، (باب الباء فصل الغين)، ص ن.

⁵ الرازي، الصحاح (مادة غرب)، ب. ط، مكتبة لبنان، لبنان، 1989، ص414.

⁶ ابراهيم أنيس و آخرون، المعجم الوسيط (مادة غرب)، ص637.

العوامل النفسية الداخلية، و التي هي انعكاس لما في المجتمع أولاً و لما في جسمه، و " الغراب" جنس طير، العرب يتشاءمون به إذا نعق قبل الرحيل فيسمونه "غراب البين"¹.

و تشير تسمية الغراب إلى صفات اللغة الاشتقاقية، و قدرتها على الربط بين الاسم و الاعتقادات الشعبية، مما يؤكد أن أي لغة في اشتقاقها وتحليلها تكون ذات مضمون ثقافي، اجتماعي يعكس تفكير الجماعة و ثقافتها و معالم حضارتها، و مما سبق يتضح أن التغرب و الاغتراب في معانيهما، و في معاني مضامينهما الاشتقاقية لهما معنى مشترك في اللغة، و هو الذهاب و البعد و التنحي و النفي و النزوح، مما يعني أن الغربة بمعنى الاغتراب، لأن التغرب من الغربة و الاغتراب، أما مفهوم الغربة، فهو يتدرج من دلالاتها المعجمية التي تعني الانتقال المكاني و الغربة عن الأهل و الوطن، إلى الدلالة الزمانية، حيث يكون الحنين إلى زمن ما تتجسد فيه أحلام الإنسان و قيمه.

و يتعدى هذا المفهوم المعنوي للغربة، و هو أن الإنسان يتعمقه شعور بأنه غريب عن العالم، على الرغم من استقراره فيه، و مصطلح الاغتراب من أكثر المصطلحات تداولاً في الكتابات التي تعالج مشكلات المجتمع، و الاغتراب في نظر الكثير من المفكرين و الكتاب من أهم السمات المميزة للعصر الحديث، و على الرغم من ذلك يرى بعض الباحثين أن مفهوم الاغتراب ما زال يعاني كثيراً من الغموض " و حينما تطرح تعريفات واضحة لمصطلح الاغتراب، فإنها غالباً ما تكون مختلفة، و تفتقد إلى الوضوح، فيما يتعلق بعلاقة كل تعريف بالآخر"²، لذا تضاربت الآراء و الأقوال و الاتجاهات في تحديده، نظراً لصعوبة تعريف المفاهيم الأساسية تعريفاً دقيقاً، و من هنا عد مصطلح الاغتراب مصطلحاً يتحمل أكثر من معنى و صعب تحديده، لتعدد مفاهيمه و غموض بعضها، و أن كلمة " اغتراب"

¹ ابراهيم أنيس، المرجع السابق، ص637.

² ريتشارد شاخت، الاغتراب، تر، كامل يوسف حسين، ط1، المؤسسة العربية للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1918، ص19.

فقد انتقلت إلى مجالات متنوعة و عبر مراحل تاريخية متعددة أصبحت لها مفاهيم و دلالات كثيرة¹.

أما الاغتراب عند الفلاسفة، مفهومه يختلف حسب اختلاف الفلسفات و المذاهب و كلمة " اغتراب" تعني عند اليونانيين: " نقل الملكية من شخص إلى آخر إكراها" و تعني أيضا " حرمان الإنسان من حقه القانوني أو الطبيعي"، و عند أفلاطون تعني: " الجهاد لفصل الذات الإنسانية عن نواقمها بجعلها في حالة هوية مع كائن متعال " الاله" و يرى هيجل أن معنى الاغتراب هو " الانفصال"، أي فقدان الوحدة مع البنية الاجتماعية².

أما " كارل ماركس"، فالاغتراب عنده هو: " اغتراب العمل"، و يكون في حالات اغتراب الإنسان من علمه و عن زملائه، و بهذا المفهوم يعكس " كارل" احساسه بالاشتغال الذي يتعرض إليه العمال في أجواء المرحلة الرأسمالية، و هذا الاغتراب عنده يزول بإلغاء الملكية الفردية و سيطرة العمال بأنفسهم على وسائل الانتاج.

و قد ذهب إلى ذلك الدكتور " جيرار الجهامي" و الدكتور " سميح دغيم" في قولهما: " إن الاغتراب هو فقدان العنصر الانساني في المعاملات الرأسمالية و اقتلاع الإنسان من جذوره في المجتمع الذي لا تحكمه غاية سوى تحصيل المزيد من الربح"³.

و يرى " ماركيز" و " كولن ويلسن": " أن الاغتراب في المجتمعات الصناعية المتقدمة هو اغتراب عن المجتمع مع الوجود داخله"، و هذا أيضا ما ذهب إليه الفيلسوف الأندلسي " ابن باجة" في شرحه لمعنى الغريب، أما " جون سارتر" فيرى أن الاغتراب حالة

¹ عبد الكريم هلال، الاغتراب في الفن، ط1، جامعة قارينوس، ليبيا، 1988، ص144.

² ريتشارد شاخت، الاغتراب، ص97.

³ جيرار الجهامي وسميح الدغيم، الموسوعة الجامعة لمصطلحات الفكر العربي الإسلامي، ط1، مكتبة لبنان، ج1، 2006، ص313.

طبيعة في عالم فاقد الهدف و القصدية و الاغتراب عند " دور كايم" يعني: " تحلل الفرد من كل رباط قانوني"¹ .

و يحدد " مولفات سومان" خمسة أبعاد أساسية لمفهوم الاغتراب هي: " الحرمان من السلطة، غياب معنى الحياة، و غياب للمعايير و من ثم غياب للقيم و إحساس بالغربة عن الذات، و من هنا كانت نظرة الوجوديين: " أن الاغتراب هو البعد عن الوجود العميق للإنسان، و الإنسان هو الحرية، و مهما حاول الإنسان من خلال الحرية، و من خلال إحساسه بالزمان و من خلال علاقاته الاجتماعية، و من خلال عمله، أن يتجاوز، و أن يشفى من الاغتراب، فإنه سيموت مغتربا، لان الحياة نفسها اغتراب".

و يعني مصطلح " الاغتراب" في الحقل الديني المسيحي اغتراب الانسان عن جوهره، حين طرد من الجنة، و نزل إلى الأرض غريبا، و ذلك عقوبة له على خطئه² ، و يرى " فيورباخ" أن الاغتراب أساسا هو " الاغتراب الديني" و هو أساس كل اغتراب فلسفي أو اجتماعي، نفسي أو بدني، إلا أن هذا الاغتراب الديني عند " هيجل" فهو يعني اغتراب الانسان عن ذاته وواقعه، و ذلك حين يبتعد عن هذا الواقع، و يتعلق بواقع وهمي هو الدين نفسه³ ، أما الاغتراب في الاسلام فهو مراتب: اغتراب بين الناس و هو أدنى درجات الاغتراب، و هو مشار اليه في قوله صلى الله عليه وسلم: " بدأ الاسلام غريبا و سيعود غريبا - كما بدأ- فطوبى للغرباء"، ثم اغتراب المؤمنين بين المسلمين، فالمؤمن الحق مغترب بين المسلمين، لان الإسلام درجة و الإيمان درجة، ثم هناك أعلى الدرجات للاغتراب و أشدها وحشة، و هو اغتراب العلماء بين المؤمنين، فالعلماء أشد الناس غربة، المعتزلة بين الناس غرباء، و الخوارج كذلك، و فلاسفة المسلمين غرباء فقد تعرضوا للسجن

¹ محمد موسى البلولة، دراسة حول الاغتراب و الحنين في الشعر المجري، أشرف د . مهدي مأمون، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، السودان، سنة 2010، ص06.

² المرجع نفسه، ص07.

³ عبد الكريم هلال، الاغتراب في الفن، ص144.

و القتل، و لعل أقصى صور الغربة هي الغربة داخل الوطن بسبب الظلم و الاضطهاد و الخوف، او الفقر و الحرمان، يقول الإمام علي رضي الله عنه: " الغني في الغربة وطن، و الفقر في الوطن غربة"¹، و الغربة عنده فقد الأهل و الأحبة، إذ يقول: " فقد الأحبة غربة"، و على ذلك يكون الاغتراب بالمعنى الإسلامي اغتراباً عن الحياة الاجتماعية، و عن النظام الاجتماعي غير العادل، فالغرباء قاوموا سلطة الحكام و سلطة النفس بترويضها عن الطاعات و اعتزلهم الناس.

و لذلك حل النظام الروحي الداخلي الذي يشيع في النفس الشعور بالأمن و الأمان محل النظام السياسي الخارجي الذي أدخل الرعب و الخوف في قلوب المسلمين.

و في المجال الاجتماعي: " توحى كلمة الاغتراب بفقد السند، لأن الغريب ضعيف لا سند له من قرابة ينتمي اليها أو ملجأ يحتتمي به، و المجتمع يحدد الغريب بأنه من لم يكن من أبنائه"²، و قد استخدم "جان جاك روسو" مفهوم الاغتراب بمعنى تحول الانسان الى عبد للمؤسسات الاجتماعية و النماذج السلوكية التي أنشأها، و ذلك في تطور التاريخ الإنساني، و عرف الدكتور حازم خيرى الاغتراب الثقافي بأنه: " تناول الإنسان عن حقه الطبيعي في امتلاك ثقافة حرة متطورة، إزاحة لذاته و إرضاء لمجتمعه"³، أما في المجال النفسي فقد يكون الإنسان بين أهله و مجتمعه و أبناء جلدته، و لكنه يشعر بأنه غريب بسبب العوامل النفسية الداخلية و التي هي انعكاس لما في المجتمع أولاً، و لما في جسمه من النواحي البيولوجية و الفكرية، المعقدة ثانياً، و الغربة إحساس بعدم الانسجام مع الأنا الفردي و الجمعي كليهما، و الاغتراب في علم النفس الاجتماعي تجربة نفسية شعورية عند الفرد تتصف بعدم الرضا عن الأوضاع القائمة، و رفض الاتجاهات و القيم و الاسس السائدة، و ينتج عن الاغتراب نتائج سلوكية فعلية منها، الانسحاب من المجتمع، أو الرضوخ

¹ الإمام على، نهج البلاغة، ط1، دار البلاغة بيروت، القاهرة، 1989، ص674.

² محمد موسى البلولة الزين، دراسة حول الاغتراب في الحنين في الشعر المجري، ص 08.

³ حازم خيرى، الاغتراب الثقافي للذات العربية، ط1، دار العلم الثالث، القاهرة، مصر، 2006، ص20.

له ظاهريا، و النفور ضمنيا، أو التمرد عليه و الثورة، و على المستويين الاجتماعي و السياسي نجد معنى الاغتراب يكتسب دلالاته من سيطرة الدولة و مؤسساتها و فقدان الانسان لحرية أمام سطوة الجماعة في العصر الحديث، و لذلك فالاغتراب هو الاحساس بالعجز أمام تفوق الآخر، و الانعزال و ضياع الذات و عدم الانتماء.

أما الباحثون المعاصرون فترى مها عبد الله الزهراني أن " الاغتراب نقيض الاقتراب، و هو الابتعاد عن الأهل و الديار و الوطن"¹، و الاحساس بالوحدة، و شعور بانقطاع الانسان عن الأشياء و الأشخاص الذين يحيطون به، و شعور بالسأم و الوحشة بين الأهل و الناس و أبناء المجتمع، و عدم الشعور بالتعاطف أو البهجة شعورا صادقا، و قد يكون الاغتراب زمانيا او مكانيا أو ذاتيا، أو وجدانيا²، و يرى سبحان خلفية " أن الاغتراب هو تحول منتجات النشاط الانساني و الاجتماعي إلى شيء مستقل عن الإنسان و متحكم فيه"³، و يرى " بسام فرنجية" " أن الاغتراب شعور بوجود علاقة انفصالية بين الواقع و الحلم"، و يعرف الدكتور " محمد التونجي" الاغتراب الذاتي بأنه: " نوع من الضياع الذاتي وسط المجتمع، و فقدان الجوهر الانساني الاجتماعي، و الانسحاق تحت وطأة ايدولوجية مناقضة لواقع فرد ما، و هو وجود المرء في مجتمعه لكنه غريب فيه مستعبد"، و نرى أن الاغتراب يعني الانفصال و عدم الانتماء، ووعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته و البيئة المحيطة له، و بصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء و السخط و القلق، و يرى " عبد اللطيف محمد خليفة" أن: " كثيرا ما تكون الغربة قسرية بسبب ما يتعرض له الانسان من ظلم أو خوف و جوع، أما الاغتراب فهو طوعي يختاره الانسان لأسباب منها: عدم الانسجام مع المجتمع و

¹ مها عبد الله الزهراني، الاغتراب و الحنين بين شعر المشاركة و الأندلسيين، ط2، التمام للنشر و التوزيع، السعودية، 2004، ص16.

² المرجع نفسه، ص17.

³ بسام فرنجية، دراسات في الرواية الفلسطينية، د. ط، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، لبنان، 1982، ص34.

العجز عن الانتماء، و المخالفة في الفكر و المتعقد، و كثيرا ما يشعر المغترب بالوحدة و العزلة و الفراغ النفسي، و كذلك شعوره بافتقاد الأمن و سوء العلاقات الاجتماعية".

و أشارت مها الزهراني أن بعض الباحثين لم تشر اليهم- إذ يرون أن معنى الاغتراب يتسع حتى يشمل البعد عن المعالم بل البعد عن الذات¹.

إن مصطلح الاغتراب أكثر شيوعا في كتابات الفلاسفة و المفكرين و في تسمية مؤلفاتهم، و على وجه الخصوص عند الشعراء، و في مؤلفاتهم و دواوينهم الشعرية.

و هو ترجمة - الاغتراب- للمصطلح l'orientation و أصبح في العصر الحديث من أكثر المصطلحات الفلسفية و النقدية تداولاً بين الفلاسفة و النقاد، فهو يمس جانبا من جوانب أزمة الانسان الحديث، فقد أصبح انسان هذا العصر " منفصلا انفصالا حادا لم يسبق له مثيل سواء عن المجتمع أو الدولة أو الذات..."².

و على الرغم من تعدد الآراء و اختلافها في مفهوم الاغتراب، إلا أن معظمهم يرون أن الانسان المغترب يعاني من توتر نفسي و قلق مؤرق و الشعور بعدم القدرة على الانسجام مع أفراد مجتمعه، و الإحساس بالضيق و الظلم، و فقدان الحرية، و القدرة على المواجهة و التحدي و الانسجام النفسي مع الذات³.

ثانيا: أسباب الاغتراب و دوافعه.

إن من بين أهم أسباب الاغتراب و دوافعه:

- الشعور بالعجز و عدم القدرة و السلطة "pour lessmess" و انعدام المغزى في واقع الحياة و الاحباط "frustration".

¹ مها عبد الله الزهراني، الاغتراب و الحنين بين شعر المشاركة و الأندلسيين، ص 16.

² محمود رجب، الاغتراب، د. ط، الاسكندرية، ج1، منشأة المعارف، مصر، 1987، ص1-8.

³ ريتشارد شاخ، الاغتراب، ص 26.

- شعور الشاعر أو الأديب بالتجرد، وعدم الاندماج النفسي و الفكري بالمقاييس الشعبية في المجتمع، و يرى بعض الباحثين في ذلك نوعا من الانفصال عن المجتمع وثقافته¹ ، و انعدام التكيف الاجتماعي يؤدي بالمتقف أن يعتزل مجتمعه، و من أهم العوامل المؤدية للاغتراب هو ما يمكن تسميته بالعامل الاجتماعي الذي يتمثل في موقف العادات المتحجرة و التقاليد الجامدة الراضة لكل تغيير، و قسوة المحافظة على التقاليد.

- الطفولة المعذبة و المسحوقة و الاضطراب الأسري، و الحرمان من الحب و الحنان والعطف والتفهم، إن عقدنا الطفولية نتحكم بنا طوال حياتنا، يذهب الذين و لدوها فينا، و تكرر الأيام و الأعوام، و تبقى هي في داخلنا قابضة هناك تحكنا و توجه خطواتنا².

- صورة العجز و الحزن و العزلة و الانطواء لمشاكل الحياة و أعبائها لقوله تعالى: " و بشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله و إنا إليه راجعون"³ .

- ان بعض الباحثين لم يميزوا بين الواقع الموضوعي و تجربة الاغتراب على صعيد الوعي و التجارب النفسية، كما على صعيد النتائج السلوكية البديلة في امكان المغترب أن يختار بينهما في سبيل تجاوز الأوضاع التي تحيله في الحياة اليومية إلى كائن عاجز و مهمش.

- أن بعض الشعراء المغتربين الذين يشعرون بالعجز يتفاوتون في تصرفهم و يسلكون سبلا مختلفة بما فيها اللجوء إلى العزلة أو عدم المواجهة، أو الخضوع للأمر الواقع و قلبه، أو التمرد و الثورة في سبيل تغيير الواقع جزئيا أو كليا⁴.

¹ محمد رجب، الاغتراب، ص08.

² فدوى طوقان، رحلة جبلية رحلة صعبة، ط2، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 1985، ص128.

³ سورة البقرة، الآيتين 155-157.

⁴ حلیم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية مآهات الانسان بين الحلم و الواقع، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر و التوزيع، الحمراء، بيروت، 2006، ص58-59.

- الانسحاب أو الهرب من الواقع الذي يسبب الاغتراب، كما يتخلى في الهجرة المقاطعة...من خلال " الاغتراب و الثورة في الحياة العربية"¹.

- التفتت الاجتماعي و التجزئة القومية.

- سلطوية الأنظمة على المجتمع: أي هيمنة الدولة على المجتمع و مواطنيه.

- مطالبة الشاعر المغترب بنفسه و ذاته أن يضحى بنفسه و بحقوقه الانسانية و حرياته من أجل الثورة، في الوقت الذي يعرف جيدا أن ما يعيشه ليس ثورة حقيقة، تشكل بحد ذاتها حالة نفسية عبثية تضاعف من احساسه بغربته².

- عالم المادة أو الثراء من الأسباب الرئيسية في الهجرة و تروح العاملين إلى بلاد أخرى غير بلادهم، يتحمل فيها المغترب صنوفا من السلبيات على نفسه و من ثم على أفراد أسرته³، لهذا فإن الطغيان المادي، يسعى بحجمه هذا الهائل و الممتد في النفس المغتربة، لكي يحطم أسطورة العلم، و يقتلها شر قتلة، تحت جشع الحصول على حزم النقود و اقتناء الكماليات، و إن حصول المغترب على نوع من هذا الثراء، لم يحلم به سابقا يجبره على تمديد سنوات الاغتراب.

إذن إن عامل المادة الأسباب الرئيسية التي جعلت من المغترب شخصا تمثل له سنوات الاغتراب شيئا ماديا.

¹ المرجع السابق، ص 61-66.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ طالب ياسين، الاغتراب تحليل اجتماعي و نفسي لأحوال المغتربين و أوضاعهم، ط1، المكتبة الوطنية للنشر و التوزيع، 1992، ص 15-19.

المبحث الثاني: أنواع الاغتراب في الشعر و أنماطه.

يعرف بعضهم الاغتراب: " بأنه عملية صيرورية تتكون من ثلاث مراحل متصلا اتصالا وثيقا"¹، فالمرحلة الاولى تتكون نتيجة لوضع الفرد في البناء الاجتماعي و يتدخل وعي الفرد لوضعه في تشكيل المرحلة الثانية، أما المرحلة الثالثة فتعكس على تصرفه انساني مغتربا على وفق الخيارات المتاحة أمامه².

إن للاغتراب مجالات مختلفة مما جعله غامضا يحتاج إلى المزيد من الدراسات، و نظرا لهذا التحدد و الاختلاف و الغموض، فلقد جاء الاغتراب في أنواع عند الفلاسفة هي:

النذب و الرفض الكوني: إذ يكون الاغتراب نوع من أنواع النفي و الطرد من عالم الأهداف و الدفاء العاطفي و المغزى الاجتماعي، و هنا نخلص أن النوع الأول من أنواع الاغتراب هو:

1- الاغتراب الاجتماعي: و لعل هذا ما ظهر عند الشاعرة فدوى طوقان و يتمثل، في موقف الهادات المتحجرة و التقاليد الجامدة التي تقف موقف المعارض من كل انسان متغير، و المرأة الفلسطينية و هي على أبواب التحول الاجتماعي و الانفتاح على قضايا المجتمع و مشكلاته، و قد كانت المرأة بصفة خاصة هي الضحية الاولى لهذا النمط التقليدي الرجعي من الحياة³.

2- الاغتراب النفسي(الذاتي): و هو من أكثر أنواع الاغتراب شيوعا و في هذا النوع من الاغتراب ينظر الفرد للآخرين كشيء مستقل عن نفسه بصرف النظر عن طبيعة العلاقات التي تربطه بهم، و يصاحب هذا النوع من الاغتراب الشعور بالوحدة والعزلة.

¹ حلیم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، ص61-66.

² المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ هيام رمزي الدردنجي، فدوى طوقان شاعرة أم بركان، دار الكرمل، ط1، عمان، الاردن، 1994، ص46

ويرى الدكتور محمد رجب أن العالم يعمل بتنظيماته ومؤسساته و نوع القيم السائدة فيه تجعل الذات مغترية عن ذاتها و منقسمة على نفسها، فلا يتحقق وجودها على نحو أصيل و حقيقي¹.

و هذا النوع يسمى في فلسفة ديكارت بـ " الكوجيتو " الديكارتي و هو يتمنح من خلال اغتراب الأنا عن ذاته، و هذا أورده بيته حسن عبد الرزاق في الاغتراب الشامل، الذي يمس الفرد و يشعره بأنه غريب عن كل شيء، و اغتراب جزئي، ينعزل فيه الفرد و ينطوي على نفسه.

3- الاغتراب التكويني (Développement AL aliénation): " و يحصل لدى أولئك الذين يشعرون بضياح حياتهم و ما فيها من علاقات و روابط بشكل لا يسمح بإعادتها وعودتها من جديد"².

4- الاغتراب الوجودي: حيث تعيش الذات تجربة الانفعال و في نطاق " الأنا تفكر " الديكارتي.

5- الاغتراب المكاني: الأصل أن يرتبط الانسان بالمكان الذي ينشأ أو ينشأ فيه و ترعرع و ارتبط به ارتباطا وثيقا، و لكنه إذا لم ينسجم مع مجتمعه فإن علاقته بالمكان الذي نشأ فيه و ترعرع تضعف، و يشعر عندئذ بحاجاته إلى الفرار من بيئته فيختار لنفسه بيئة أخرى يحيا فيها بروحه، و يلحق في أجوائها بخياله، و يجد فيما يتصوره من فسيح رحابها متنفسا له، و عوضا عما ضاق من بيئته التي لم يعد له من قبل باحتمالها³.

¹ محمود رجب، الاغتراب، ص62.

² محمد موسى البلولة، دراسة حول الاغتراب و الحنين في الشعر المجري، ص10.

³ محمد غنيمي هلال، الروماتيكية، د. ط، بيروت، دار العودة، لبنان، 1986، ص33.

6- الاغتراب الزمني: وهو أن يحاول المغترب ألا يعيش في زمانه، فيتجاوز حاضره إلى مستقبل زمني أمل أو بائس أو أن يهرب من الواقع، و فيها جميعها تتمثل أزمة من الإحساس و الفكر كأشد ما عرف الانسان من أزمت الفكر و الشعور¹.

7- الاغتراب الديني: و هي غربة أهل الله، و أهل سنة رسوله بين هذا الخلق، و هي الغربة التي منح رسول الله صلى عليه وسلم أهلها فقال²: " بدأ الإسلام غريباً و سيعود غريباً - كما بدأ- فطوى للغرباء" و ليس غربة اهل الله و رسوله وحشة، بل هم أنس العباد، إذا استوحش الناس، مثلهم في ذلك مثل موسى عليه السلام، عندما خرج من مصر هارياً من فرعون و قومه، ناجى ربه قائلاً: " يا ربي وحيد مريض غريب" فناداه ربه قائلاً: " يا موسى الوحيد من ليس له مثلي أنيس، و المريض من ليس له مثلي طبيب، و الغريب من ليس بيني و بينه معاملة"³.

و أنواع الاغتراب في الشعر العربي عند يحيى الجبوري كثيرة منها: غربة السجن، غربة النفي، غربة الأسر، غربة الخلع، كما عند الشعراء الصعاليك، و غربة الجند الفاتح، و الغربة في غير الأهل عند المرأة، و غربة اللون...الخ.

و يلاحظ أن الجبوري في تصنيفه لأنواع الغربة، اعتمد على دواعي الاغتراب عنده كثيرة، و التي ذكرناها الآن كغربة النفي و الأسر و اللون⁴....الخ، و ربما قصد الجبوري التسمية لا الاصطلاح.

و مها الزهراني في دراستها لشعر الاغتراب و الحنين عند الأندلسيين و المشاركة تناولت في أنواع الاغتراب، الغربة الجسدية، و الغربة النفسية، و الغربة الفكرية.

¹ محمد عنيمي هلال، الروماتيكية، ص 75-87.

² ابن منظور، لسان العرب، ص 232.

³ ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ط1، القاهرة، مصر، 1992، ص123.

⁴ يحيى الجبوري، الحنين و الغربة في الشعر العربي، ط1، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، 2008، ص40-41.

وذكرت مها الزهراني أنها اعتمدت على الجانب النفسي في تقسيمها لأنواع الاغتراب و في تناولها للنصوص الشعرية¹، و يصنف محمد راضي جعفر الاغتراب في الشعر العراقي إلى²: الاغتراب الاجتماعي، الاغتراب المكاني، الاغتراب العاطفي، الاغتراب الزمني، الاغتراب النفسي، الاغتراب الفكري، الاغتراب الروحي.

و يتفق علي آل موسى محمد راضي جعفر في تصنيف أنواع الاغتراب، و يضيف إليها الاغتراب عن الذات³.

و منه نلاحظ أن تصنيف محمد راضي جعفر و علي آل موسى للاغتراب، و ما استخدماه من مصطلحات قد مكنهما من التعبير عن دواعي الاغتراب و أهدافه و نتائجه، إلا أن هذا لا يمنع من وجود تصنيفات و اصطلاحات للاغتراب أكثر شمولاً و دقة.

فالاغتراب العاطفي - مثلاً- يمكن أن يدخل في دائرة الاغتراب الاجتماعي و الاغتراب الروحي بإمكانه أن يدخل في إطار الاغتراب الفكري.

و ربما ما يشدنا في هذا أن أنواع الاغتراب كثيرة و متفرعة من أن الدكتور حليم بركات يقول⁴: " سأحاول مستفيداً من كتاباتي السابقة بما فيها كتابي المجتمع العربي في القرن العشرين، حول الاغتراب السياسي، أن أظهر وجود هرمية قمعية في تنظيمها و قيمها في مختلف المؤسسات التي فرضت على الشعب تفسيرات و معتقدات تخدم مصالحها في الدرجة الأولى، بحيث أنه بقدر ما يمنع فيها من نفسه تصبح قوية و غنية على حسابه، فيعاني العجز و العزلة و الاغتراب في لب وجوده المعنوي، و حتى في نظرته إلى الحياة و دوره في صنع تاريخه".

¹ مها الزهراني عبد الله، الاغتراب و الحنين بين شعر المشاركة و الأندلسيين، ص43.

² محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر مرحلة الرواد، د. ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص60.

³ محمد موسى البلولة، دراسة حول الاغتراب و الحنين في الشعر المهجري، ص13.

⁴ حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، ص91.

المبحث الثالث: أهمية الاغتراب - أبعاده و دلالاته -

الاغتراب مسألة مهمة من مسائل الحياة، عشنا في ترهاتها زما طويلا، نعاني و نشقى، و نفرح و نحزن و نسعد، تقبلنا ظروف الاغتراب كيف شاءت، و تسقطنا إلى دروب سحيقة تارة و نتقلنا إلى الأعالي تارة أخرى، و هكذا فنحن نعيش في غياهب و عالم الاغتراب.

يرى طالب ياسين في نظريته للاغتراب¹، أن هذا الأخير فيه من الايجابية، مثلما له من السلبيات و العيوب، إذ يرى أن معاناة المغترب و مكابذته لشتى أنواع الهوم و العذاب النفسي، و كذلك تعرضه لشتى أنواع صور الحرمان النفسي من الأمور الأخرى هل يستحق هذا كله من المغترب، بأن يصبر و يضحي لينال بالمقبل ثمنا مجزيا، يضاهي كل هذه الأمور التي ذكرناها؟ ام أن المغترب يتحمل هذا العناء كله في غربته من أجل فائدة لا تذكر؟ و بالتالي هل المغترب رابح أم خاسر في غربته؟.

أولاً: أن في التنقل و الحركة رزق و بركة، و في التغرب و السفر و النوى فائدة كذلك إذ ما ربطناها بالمعيار الإسلامي، إذ نجد القرآن الكريم يحثنا في بعض آياته القرآنية على السعي و طلب الرزق فيقول جلا وعلا: " فامشوا في مناكبها و كلوا من رزقه " صدق الله العظيم.

أن الإمام الشافعي رحمه الله حث على الاغتراب، و عزوا في ذلك، ان له عدة فوائد، و قد صاغوا هذه الأقوال بطريقة شرعية جميلة، ترسم في داخل النفوس، مدى ما يجنيه الانسان من وراء الاغتراب، و قد عددوا فوائده في أشعارهم، ومهما تكن فإن للاغتراب فوائد العلمية²، إذ كان العالم أو الفقيه أو الشاعر يقطع في الأرض، و يخاطر بنفسه، أشد مخاطرة من أجل تحصيل علم أو كتابة قصيدة.

¹ طالب ياسين، الاغتراب تحليل اجتماعي ونفسي لأحوال المغتربين و أوضاعهم، ط1، المكتبة الوطنية للنشر و التوزيع، عمان، 1992، ص151.

² طالب ياسين، الاغتراب تحليل اجتماعي و نفسي لأحوال المغتربين و أوضاعهم، ص121.

و الاغتراب بالصورة التي نعرفها عليه قديما خاصة أثناء التنقل كانت صعبة جدا، و ربما أودت الرحلة بصاحبها إلى حيث لم يعد إلى بلده مرة ثانية، أما الآن فقد تغير الوضع و أصبحت أمور التنقل ميسرة جدا و بشكل ملحوظ.

يقول طالب ياسين: " في كتاب هذا -الاغتراب-¹ هذا الأمر يشجع أي شخص و يغريه كي يقوم برحلة الاغتراب هذه " إذ يرى أن الاغتراب كان يقوم من أجل تحصيل العلم، و لكن انعكست الأمور و أصبح يقوم من أجل التحصيل المادي، فالأمر الذي يقف أو الدافع الأصلي هو تحصيل مادي بحث ، يتحمل صاحبة من أجل المشقات و الصعوبات الجمة في بلاد الغربة، و لهذا فإن مغترب العلم كان يحتاج في أثناء تنقله في رحلته مشقة و عناء، و لكنه حين يصل إلى أي بلد للإقامة فيه، يقومون على خدمته، و تقديم أنواع المساعدة عكس مغتربو المادة أو أصحاب التكسب، فكان الغرب بالنسبة لهم يمثل الشهرة و الفائدة المادية، إذن فالاغتراب و التعرف على المواطن الأخرى²، يحطي فكر الانسان و يرسم في داخله صورة حية عن واقع هذا البلد أو ذلك يستطيع الاستفادة، وأخذ كل ما هو جيد و مقبول، سواء كان ذلك العادات الحسنة أو التقاليد الجميلة، أو ارتشاف بعض العلوم، أو تشرب بعض الثقافات و تبادلها، التي يمكن أن يأخذها المغترب تضاف إلى إرثه الأصلي³.

و هذه الأمور إن أحسن استعمالها و كيفية اختيار المناسب منها، فإنها من الممكن أن تساعد في إثراء الإرث الحضاري للبلد الذي يعمل فيه لأنه ليس شرطا أن يأخذ المغترب من موروثة البلد الذي يعمل فيه.

و من فوائد الاغتراب أيضا حسب رأي " طالب ياسين" هو تبادل المعلومات الثقافية الذي لا يأتي عن طريق البحث و الطرق المباشرة فحسب بل يأتي بطريقة عفوية غير مقصودو

¹ المرجع السابق، ص122.

² المرجع نفسه، ص123.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وهو الهدف الذي يقف و راء الاغتراب، سواء كان الأخير ماديا أو معنويا، سواء كان اجتماعيا أو نفسيا¹.

فإن من خلال العرض الفأنت نستطيع القول أن لحياة الاغتراب فائدة رئيسية هامة جدا في حياة البشر، إنها تلك الفائدة المادية التي هي عصب الحياة، و الحياة العرية تسير وراء ركابها، و لن يستطيع إنسان أن يطمئن لحاضره أو مستقبله ما لم تكن عوامل مادية و معنوية تساعده على ذلك.

إن تجربة الاغتراب² حسب رأي طالب ياسين التي عصفت بغالبية المغتربين، قد بددت كل التراكمات و الاحلام التي بقوا يجترونها في أحلامهم الماضية، فجلسوا ينعمون بها، مستشرفين أنوار المستقبل، و هكذا غابت على أنفسهم طبائع المحرومين الذين أن لهم الألوان كي يعوضوا ما فاتهم.

فالاغتراب مرارة صعبة التذوق، فهي حالة بغیضة سببها عوامل نفسية من الحرمان و العزلة المتراكمين في الماضي، هذا الحرمان الذي قد خلق الفوضى و سريان حالات التشتت و ضياع الماضي و الحاضر و المستقبل.

إن هذه هي فوائد الاغتراب التي تحدثنا عنها، فيها استعراض للذكر المادي و غير المادي منها، و عرفنا أن للاغتراب فوائد هامة فهي:

- عامل مساعد على التعرف على كثير من حالات الشعوب و أجوائها و بلادها، سواء تعلقت هذه المعرفة بالعادات و التقاليد أو بالثقافات أو بالأشكال أو بالديانات و العقائد و الآداب.

¹ طالب ياسين، الاغتراب تحليل اجتماعي و نفسي لأحوال المغتربين و أوضاعهم، ص 125.

² المرجع نفسه، ص 134-135.

- أن الاغتراب بشتى أشكاله يمكن المغترب بأن ثقافته تتسع و تتنامى، و قدرته على الصبر و الجلد و القوة و الاصرار و قوة التحمل، إذ بقيت هذه الأمور طبيعية لديه، أما غذا ازدادت عليه الأحمال الثقيلة و فلتت الأمور عن حدها فسيرجع هذا عليه بالسلب.

الفصل الثاني

الاغتراب عند فدوى طوقان

المبحث الأول: فدوى طوقان و تجربة الاغتراب.

المبحث الثاني: عوامل الاغتراب في شعر فدوى طوقان.

المبحث الثالث: تجليات الاغتراب في شعر فدوى طوقان.

المبحث الرابع: البحث على الذات.

المبحث الأول: فدوى طوقان و تجربة الاغتراب.

يقول بعضهم عن الاغتراب: " انه عملية صيرورة تتكون من ثلاث مراحل متصلة اتصالاً وثيقاً"¹، فالمرحلة الأولى تتكون نتيجة لوضع الفرد في البناء الاجتماعي، و يتدخل وعي الفرد لوضعه في تشكيل المرحلة الثانية، أما المرحلة الثالثة فتعكس على تصرفه إنساناً مغترباً على وفق الخيارات المتاحة أمامه، لقد عانت الشاعرة الفلسطينية- فدوى طوقان- المعاناة فتجسدت في رحلتها: رحلة جبلية، و الرحلة الاصب، لتؤكد معاناتها، معاناة ملازمة و دائمة في حياتها و في شرايينها إنها رحلة داخلية في أعماق الذات تتصادم مع الذات نفسها و مع المجتمع المدني، ممثلاً بمنظومة العادات و التقاليد.

رغم انخراطها في الحياة الوطنية و الاجتماعية مع الجموع كانت الوحدة و الاغتراب يسكنها و يعيش في أعماقها²، و هذا ما تقوله في قصيدتها: هذا الكوكب الأرضي. و إذ تقول فيه:

لو بيدي

لو أنني أقدر أن أقلبه هذا الكون

أن أفرغه من كل شرور الأرض

أن أقتلع جذور البغض

لو أنني أقدر لو بيدي

أن أقصي قابيل الثعلب

¹ د. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، ط1، سنة2006، ص76-77.

² فتحية إبراهيم صرصور، خصائص الأسلوب في شعر فدوى طوقان، (ب.ط)، دار الصداقة الثقافي، غزة، سنة 1426هـ الموافق ل2005، ص187.

أقصيه إلى أبعد كوكب

أن أغسل بالماء الصافي

إخوة يوسف

و أظهر أعماق الأخوة

من دنس الشر

لو بيدي

أن أمسح عن هذا الكوكب

بصمات الفقر

لو أنني أقدر لو بيدي

أن أجتث شرور الظلم

و أجفف من هذا الكوكب

أنهار الدم¹.

هكذا كانت حياتها و رحلتها المغتربة على المستويين الشخصي و الاجتماعي، اذ المعاناة تخص أناها الفردية من كانت جنينا في رحم أمها، و كأنها كانت في غربة حتى و هي جنين، منذ أن حاولت والدتها إجهاض حملها فتقول²: " خرجت من ظلمات المجهول إلى

¹ فتيحة إبراهيم صرصور، خصائص الأسلوب في شعر فدوى طوقان، ص188.

² فدوى طوقان، رحلة جبلية- رحلة صعبة، ط2، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، سنة 1985، ص123.

عالم غير مستعد لتقبلي، أمي حاولت التخلص مني في الشهور الأولى من حملها بي، حاولت وكررت المحاولة، و لكنها فشلت¹.

إنها تلك الظواهر النفسية التي أفرزتها الحياة الشخصية لفدوى طوقان، و هذا " البحث" عن الحقيقة التي لا تنطفئ، لا يتجلى في جانب قدر تجليه فيما يعرف بـ: " الاغتراب" و هو ما يمكن تسميته " بشعار العصر" بوصفه واجهة حقيقية سافرت لواقع الإنسان المعاصر و الممزق².

فالاغتراب يأتي في الغالب على نقيض النزعة التقليدية، التي تقوم على أساس محاكاة هذا الواقع وفق آليات، فتترجم فدوى طوقان اغترابها هذا فتقول: " كل إنسان في...إنما هو إنسان وحيد في شقائه، و في حزنه، و في موته"³.

و يؤكد ذلك د: غنيمي هلال في قوله: " هؤلاء الحكام و الشعراء بين يديهم مستقبل الانسانية، و يعيشون في غزلة غرباء عن المجتمع، يتبرؤون مما فيه كأنهم لا يشتركون في شيء، و يدينونه في كل ما يزخر به من تراكم و قوانين ظالمة"⁴.

أحست " فدوى" و كأنها تعيش في عالم يعبث بأفراده و يضيعهم في شتاته، و يضيعهم في متاهاته فتحس بذلك و تقول: " أحسن بعث الحياة و انعدام غايتها و أنا أقف هكذا، حائرة مغتربة و ضائعة"⁵.

¹ فدوى طوقان، رحلة جبلية- رحلة صعبة، ص12.

شاخت، ريتشارد: الاغتراب، ترجمة: كامل يوسف حسين، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، سنة1850، ص56-57.

³ المرجع نفسه، ص12.

⁴ محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، (ب ط)، دار نهضة مصر للطباعة و النشر، مصر القاهرة، سنة 1986، ص114.

⁵ فدوى طوقان، رحلة جبلية- رحلة صعبة، ص217.

فينفصل هذا الانسان عن هذا العالم، فيحس ذاته مغتربة بعيدة و تقول: " العالم الخارجي يتلاشى، زهول حذر كل إحساس لدي يصاب بالتوقف لأول مرة في حياتي يستعصى علي البكاء، فراغ في الرأس فراغ في النفس، كل شيء يترك مكانه لفراغ أخرس، غياب أناوما حولي يغرق في الغياب، لا حضور لشيء إطلاقا فقط غياب"¹.

و هذا ما يراه بعض المفكرين في أن الإنسان المغترب يعاني من توتر نفسي و قلق مؤرق و الشعور بعدم القدرة على الانسجام مع أفراد مجتمعه، و الإحساس بالضيق و الظلم و فقدان الحرية و القدرة على المواجهة و التحدي و الانسجام النفسي مع الذات"².

و تستجمع فدوى ذكرياتها و إحساسها بالتغرب فتقول في رحلتها الصخرية: " تاريخ ميلادي ضاع في ضباب السنين، كما ضاع في ذاكرتيهما، أسأل أمي لكن يا أمي على الأقل في أي فصل؟ في أي عام؟ و تجيب ضاحكة، كنت يومها اطهي (عكوب) هذه شهادة ميلادك الوحيدة التي أحملها... لقد أنسيت الشهر و السنة...."³.

إن الاغتراب عند فدوى تعددت أبعاده من حالة إلى أخرى و ما شعرت به من غربة في المجتمع إلا غربة الذات، و المعنى الاجتماعي لا ينفصل في الغالب عن المعنى النفسي، و قد يكون ناتجا عن ترهل علاقته (الشاعر) بالآخرين⁴، و قد تبدوا هذه العلاقات المضطربة أثرا من آثار نبذ المجتمع له، أو تجاهله أو تهميشه و عدم الانتماء إليهم⁵.

و ازدادت فوهة الاغتراب عند فدوى طوقان برحيل شقيقها بل سندها و حاميتها، الأخ الحنون الداعم لأخته في ضياعها و غربتها قيل رحيله الأبدي، رحيل لا رجعة فيه و غربة

¹ فدوى طوقان، رحلة جبليّة- رحلة صعبة، ص208.

² محمود رجب، الاغتراب، الاسكندرية، (ب ط)، منشأة المعارف للنشر، مصر، سنة 1978، ص8.

³ فدوى طوقان، رحلة جبليّة- رحلة صعبة، ص12-13.

⁴ محمود رجب، الاغتراب، ص36.

⁵ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

موحشة بعده هو: إبراهيم طوقان فتقول: " ظل الخوف مسيطرا على وجداني منذ وفاة إبراهيم فقد كان هو البديل الوحيد"¹.

يرى الدكتور إحسان عباس أن الشاعر يمر بمرحلتين: مرحلة الاغتراب و مرحلة وجدان الهوية الاجتماعية، فكيف يكون الوضع بالنسبة للشاعر قد يجد هويته أو لا بسبب عوامل متعددة أحسن بالاغتراب من بعد، و بفقدان تلك الهوية و هناك أيضا الغربة و الاغتراب و هناك الثورة..."².

و من المؤكد أن عائلة فدوى طوقان لم تحسن التعامل معها و في مرحلة الطفولة و الصبا، و التي جعلتها تشعر بعدم انتمائها إلى العائلة، فتروي قصتها قصة الغير منتمي إلى هذه العائلة فتقول: " كثيرا ما سمعت أمي تذكر طرائف و نوادر عن طفولة إخوتي، مما كان يثيرنا نحن الصغار.... و كنت أنتظر دائما أن تروي شيئا عن طفولتي، نادرة مثلا و لكن دوري الذي كنت انتظره لم يكن ليأتي قط، فأبادرها بالسؤال بلهفة طفولية، احكي لنا يا أمي شيئا عني... و لكنها لم تكن لتبل غليلي و لو بذكر طرفة تافهة و أنكمش في داخلي و أحسن بلا شيء أنني لا شيء، و ليس لي مكان في ذاكرتها"³.

هذا الاغتراب و الاحساس بالتيه و العزلة يدفع بفدوى إلى الاحساس بالعزلة و هي ضمن عائلة لا تبالي بها، فتقول في قصيدة " هو و هي"⁴:

هو: حدثيني ليلى

هي: حياتي يا عباس حلم

مروع الأشباح.

¹ فدوى طوقان، رحلة جبلية- رحلة صعبة، ص2.

² إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ط1، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الكويت، سنة1978، ص159.

³ فدوى طوقان، رحلة جبلية- رحلة صعبة، ص20-21.

⁴ فدوى طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، سنة 1993، ص224.

حلم أطبقت عليه جدران سجت

داج رهيب النواحي

عشت فيه مخنوقة الروح ظمأى

لندى الفجر لشذى النور

الهواء الثقيل يكتم أنفاسي و قيدي

يغل دفق شعوري

كلما كنت في الظلام و بالكبت تلفت

مثل طير مكبل

على فجر الخلاص يلمح، لا شيء سوى الليل

ليل سجني المقفل¹.

و هذا ما أحست به فدوى من أعراض الأهل، و عدم مبالاتهم بها ما حز في نفسيتها، و فقدان عطف الوالدين و حنانهما، فتجعل منها منعزلة عن مجتمعها الصغير، و بالك يضعف انتماؤها إلى الأسرة و تنفصل عنها.

" فالعقد الطفولية تتحكم بالفرد، و تبقى مسيطرة عليه مدى الحياة، إذ عقدنا الطفولية تتحكم بنا طوال حياتنا، يذهب الذين ولدوها فينا، و تكرر الأيام و الأعوام، و تبقى هي داخلنا قابضة هناك تحكمننا خطواتنا"².

¹ فدوى طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص225.

² فدوى طوقان، رحلة جبلية- رحلة صعبة، ص128.

فالطفولية في نظر فدوى كانت- لسوء الحظ- طفولة تعيسة" إن طفولتي لم تكن لسوء الحظ أو لحسن الحظ- بالطفولة السعيدة المدللة"¹.

" إن الفرد الذي ينمو في مناخ الشرطة السرية و السلطة العائلية المشددة، ينشأ بتركيب نفسي هو مزيج من تلك الثنائية: الخضوع و التمرد، فهناك دائما صفات مكتسبة تتكون نتيجة للقهر الاجتماعي و العائلي بصفة خاصة"².

إن الاغتراب عند فدوى يمس اغترابها الشخصي و الاجتماعي، بل إنها تروي رحلة اغترابها عن الوطن و الأهل، و لكن تفضل هذا البعد، لأنه ينمي إرادتها و شعورها بنفسها.

" لا تتحصر عندي قيمة السفر في الاستمتاع بالتححرر و الاستقلال، إن الشعور بالنقص الإنساني هو الدافع الحقيقي الذي يدفعني إلى السفر، فهو النبع الزاخر بالمعرفة"³.

و تقول مضيئة: حين أعود من سفر طويل و أفتح باب منزلي تستقبلني رائحة غريبة موحشة، إنها رائحة الغياب رائحة الأماكن المجهورة، غير المأهولة"⁴.

إن الاغتراب صراع لا أكثر من أجل البقاء، و ليس صراع لا يمكن للمغترب تفاديه لأنه يمس كينونته(وجوده) و هويته"⁵.

يقول د. صلاح نيازي: إن الاغتراب كذلك مغامر من أجل البقاء، نبات منقول من بلد لآخر، و من حالة إلى أخرى، لا بد له من كيماويات جديدة، و إلى عيدان يابسة، لا بد له من تكيف واع، لا يكون على أشده اغترابا، إلا إذا تعرضت قيمته إلى قيم أكثر تطورا"⁶.

¹ المصدر السابق، ص14.

² المصدر نفسه، ص13.

³ المصدر نفسه، ص123.

⁴ المصدر نفسه، ص223.

⁵ صلاح نيازي، الاغتراب و البطل القومي، ط1، مؤسسة الانتشار العربي بيروت، سنة 1999، ص7.

⁶ المرجع نفسه، ص11.

إن سر نجاح فدوى في أن تصبح شاعرة فذة، إياها أخوها " إبراهيم " التي أحست معه بالدفء و الحنان، التي لم تجده في أبيها و الحرمان الذي كان يمنحها إياه أخوها " يوسف " المتسلط دائما و المجحف في حقها، و كتبت لأخيها إبراهيم قصيدة " إلى أخي"¹، تقول فيها:

لقد زاد في قلبي اشتياقي من البعد

فهل عند إبراهيم مثل الذي عندي

أقول لعين تشتتهي النوم كفكفي

دموعك تستريحني من السهد

ألا ليت شعري هل تجيء ديارنا

فيذهب ما يلقاه قلبي من الوجد.

¹ فدوى طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص320-321.

المبحث الثاني: عوامل الإغتراب في شعر فدوى طوقان.

إن أهم أسباب الإغتراب أن يحس المغترب نفسه يمر بمرحلة الإغتراب الروحي، و الذي يشعر فيها الفرد بانفصاله (من ظرف إنساني مثالي) فيتطلع تبعاً لذلك إلى الانعتاق من العالم المحيط به إلى عالم صنعه نفسه، و ان هذا الإغتراب هو نتاج تراكم عدة أنواع اغترابية كالاقتصادي و العاطفي و النفسي وسواهم، إذ أن تعاقب الاخفاقات و الإحباطات تؤدي إلى اعتزال واقعه اعتزالاً كلياً أو شبه كلي، و سعيه إلى بلوغ واقع آخر، لا وجود أصلاً إلا في تصوره¹.

تقول فدوى طوقان: ظللت أكره انتمائي إلى العائلة التي جعلتني سوء الحظ واحدة من أفرادها، لقد أفضل دائماً الانتماء إلى عائلة أقل غنى و أكثر حرية².

و لكنها لم تستطيع أن تفلت من عائلتها، فاعتزلت الجميع و عاشت عالماً خاصاً بها، و عوضت واقعها البائس بعالم الدمى الجميل، فقالت: كانت العلاقة التي تربطني بالدمى أقوى من علاقتي بأي شيء آخر، فقد كانت تتحول إلى مخلوق حي إلى طفل صغير أدلله وأضحكه، و أغضب عليه و أعاقبه، و أغني إليه فينام، لقد كانت أمي تزجني بكلمة " كبرت باستمرار" حتى صرت أحسب حساباً لكل حركة أقوم بها: هل يليق بي أن أفعل هذا باستمرار؟ أم تراني كبرت؟ و كنت أضيع بين التساؤل الحائر و الجوانب الذي أهتدي إليه فقط³.

إن هذه الطفولة البائسة لفدوى شكلت عليها ما يسمى بعامل: الإغتراب النفسي، و عدم قدرتها على التقاليد و أعراف الأسرة و المجتمع، و هذا ما يؤدي إلى ما يمكن تسميته كذلك ب: عامل الإغتراب الاجتماعي، و يتمثل في موقف العادات المتحجرة والتقاليد الجامدة من

¹ محمد راضي جعفر، الإغتراب في الشعر العراقي، (ب ط) منشورات اتحاد الكتاب العرب، د. ب، سنة 1999، ص42.

² فدوى طوقان، رحلة جبلية- رحلة صعبة، ص24.

³ المصدر نفسه، ص24.

المرأة الفلسطينية، و هي على أبواب التحول الاجتماعي و الانفتاح على قضايا المجتمع و مشكلاته، فقد ولدت فدوى في زمن يتسم بالتخلف و الجمود وقسوة المحافظة على التقاليد، وقد كانت المرأة هي الضحية الأولى لهذا النمط التقليدي الرجعي من الحياة¹.

فالمجتمع ببنيته الاجتماعية المرتكزة على العرف و التقاليد يقف عائقاً أمام تطور المرأة وانطلاقها في خدمة مجتمعها، و يحولها إلى أمة أو سجيناً تقبع داخل جدران البيت.

إذ تؤكد فدوى طوقان ذلك بقولها: غير أنني كنت أحس بوجود خيط من الشفاء الغير منظور يمتد في أعماق أُمي رغم مزاجها المرح الطليق، و حين كبرت عرفت مصدر ذلك الشقاء الخفي، إنه الحصار و القهر الذي تعانيه و عزلها عن المجتمع خارج البيت هو الذي نَمى فيها ملكة السخرية و النكتة كنوع من التنفيس².

إذا فالمجتمع عند فدوى هو القالب الفولاذي الذي يضعنا فيه الأهل، و لا يسمح لنا بالخروج منه، أي القواعد المألوفة التي يصعب كسرها التقاليد الخالية من العقد التي تضع الفتاة في قمم التفاهة، و التوق إلى الانطلاق خارج مناخ الزمان و المكان، و الزمان هو زمان القهر و الكبت و الذوبان في اللاشيئية و المكان هو سحب الدار³.

و من عوامل الاغتراب عند المرأة الفلسطينية- بشكل خاص- هو أنها لم تكن واعية بدورها في الحياة، و لم تسعى إلى استرداد حقوقها المغتصبة، و قد زاد جهل المرأة الفلسطينية في تلك الفترة من اغتراب فدوى طوقان، حيث كان المجتمع النسائي الذي أحاط بها في الثلاثينات و الأربعينيات مجتمعاً برجوازي غير قارئ، ينظر إلى فدوى على أنها مخلوقة شاذة غير اجتماعية غريبة الأطوار⁴.

¹ هيام رمزي، فدوى طوقان الشاعرة، ط1، دار الكرمل للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، سنة 1994، ص46.

² فدوى طوقان، رحلة جبلية- رحلة صعبة، ص25.

³ المصدر نفسه، ص 10-11.

⁴ فدوى طوقان، رحلة جبلية- رحلة صعبة، ص117.

مما أدى بفدوى إلى أن تميل إلى الوحدة و العزلة و عدم الانخراط بمن حولها من نساء المجتمع، إذ اتسعت الفجوة بينها و بين المجتمع النسائي، فلم يكن بمستطاعه أن يعطيها شيئاً أو يأخذ منها شيئاً، كان مجتمع لاذع اللسان يثرثر كثيراً جداً، و الثرثرة رمز التخلف في المجتمعات التي لا تقرأ¹.

و بذلك أزداد شعور فدوى بالاغتراب و القهر، و تناما إحساسها بالانفصال عن الأسرة و النظام الاجتماعي الكلي، و انعدام ولائها للنظم الاجتماعية، حيث وقفت هذه العادات و الأعراف الاجتماعية سداً منيعاً أمام إحساسها بالحب لأول مرة، حيث منعها الأهل وفقاً للقيم الاجتماعية من تطوير العلاقة بينها وبين الشاب الذي أحبها، و بدأ يلاحقها ويظهر حبها لها، و لكن رد فعل الأهل جاء عنيفاً، حيث منعت من مزاوله الدراسة و سجنّت داخل المنزل، و عندئذ تعاضم شعورها بالانفصال عن المجتمع، و تعودت بالانكفاء على النفس و الغياب داخل الذات، حيث تتبلور العزلة و الاغتراب الاجتماعي العام، و يرى الدكتور نبيل اسكندر شعور الفرد في بأنه في المجتمع وليس مع المجتمع².

وتقول فدوى طوقان واصفة واقعها بعد الحب الفاشلة و عقاب الأهل لها: رحّت أتحصن بالعزلة، كنت مع العائلة و لكن حضوري في الواقع غياب إلى أبعاد حدود الغياب، كان لي عالمي الخاص الذي لا يمكنهم اقتحامه، و لقد ظل العالم موصداً أمامهم، و لم أسمح لأحد باكتشافه....أخذت تتعاضم قدرتي على الانفصال عن عالم الواقع و الاستغراق في عالم اليقظة، أهلي هم سجنني الذي أريد أن أفلت من أبوابه المغلقة³.

¹ المصدر السابق، ص117.

² محمود رجب، الاغتراب، ص228.

³ فدوى طوقان، رحلة جبلية- رحلة صعبة، ص58-59.

و حالة فدوى هذه تتفق مع مفهوم " شنيدر " للاغتراب الذي أرجعه إلى فقدان الروابط الأولية الأصلية و للعزلة و التفكك، و يعني بالروابط الأولية علاقات الإنسان بالمجتمع المحلي بأقربائه، تلك العلاقات التي يفقدها الانسان حينما يتحول عن جماعته الأولية.

فالواقع الاجتماعي المؤلم الذي عاشته فدوى طوقان خلق في نفسها أثرا عميقا و جرحا كبيرا، فهي لم تعد تحس بانتماء إلى الآراء و المتعقدات الشائعة و المألوفة، و لم تعد تؤمن بمنظومة القيم التي كانت تحكم المرأة آنذاك، و أرادت أن تحقق رفضها لقيم المجتمع و عاداته و تقاليده و عرفه بطريقة وجودية ووجدانية، أي عن طريق اعتزال أفراد المجتمع و التوحد و التفرّد إلى قراءة كتب الشعر القديم، و ألما تلقتي بالآخرين، و لم تقم علاقات اجتماعية حميمة معهم، و تصور ذلك في مذكراتها فتقول: كان يحدث أحيانا نوع من عدم التوازن أو الخلخلة في علاقاتي بالأفراد، و ذلك حين أرتطم بغير الواقع، أو حين ينقلب المثال إلى صورة مهزوزة هنا كنت أحس بعجزني عن الالتصاق¹، و أقع في حالة من الاغتراب الاجتماعي، فألجأ إلى مأواي الأمين، إلى نفسي، و إلى كتيبي و إلى وحدتي التي ظلت تشكل العمود الفقري لوجود بما تتيحه لي فرصة المطالعة و التأمل و الاحساس بالأمان، ولم تكن أسباب لجوئي إلى الوحدة بالضرورة أو في كل الحالات نتيجة لارتطامي بالآخرين، فحتى في فترات المصالحة و الوفاق مع العالم و الناس و الأشياء ظلت مصادقة النفس التي لا تتم إلا في وجود جو التوحد هي لاتجاه الغالب².

و ثالث هذه العوامل موت شقيقها المقرب إلى نفسها " إبراهيم" الذي كانت تعده سندها في الوجود، و معلمها و رفيق دربها ومنقذها من الضياع، فعندما قدم من بيروت و قد أنهى تعليمه الجامعة، عني بها عناية فائقة، و حاول ان يخفف من وطأة المجتمع عليها، و أن يخرجها من عالمها الخاص، من عالم الانفصال و الانسحاق فتقول: في تلك الفترة من

¹ المصدر السابق، ص103.

² المصدر نفسه، ص103.

سني، مراهقتي كانت يد إبراهيم هي حبل السلامة الذي انتشلني من بئر نفسي الموحشة المكتنفة بالظلام¹.

لقد ظل إبراهيم معينا بإعادة بنائها نفسيا، و ابتعث ما لديها من ميل طبيعي إلى إبراز إمكانيتها و قدراتها الكاملة...، كان هو وحده الذي يراها و يحس بوجودها و بكينونتها².

و لكن بوفاته فقد فجعا ذلك و أعادها إلى أجواء الكآبة ثانية، و عالم الضياع والوحدة و الاغتراب و أصبحت أسيرة لأحزانها، فأحالت حياتها الوداعة إلى مآثم دائم ودموع لا تجف، و طبعت شعرها بطابع الأسي و الحزن.

و آخر هذه العوامل هو شعورها بالعجز و عدم القدرة على المواجهة، و عدم القدرة على تحدي الواقع، و شعورها بالعبودية والخنوع لمجتمعها، أفقدها القدرة على تطوير الذات فتقول في مذكراتها: و ظللت اعجز و اضعف من أن أفرض نفسي على الاشياء و الأمور التي كانت تجري من حولي، كنت على وعي بمهانة هذا الوضع و بعجزني على تحطيمه و الخروج من إطاره³. و تضيف إلى ذلك: كان شعوري بالاغتراب يتكاثف و بدأ إحساسي باستلاب أحلامي و آمالي وتطلعاتي الطموحة، يتخذ صفة مرضية⁴.

¹ فدوى طوقان، رحلة جبلية- رحلة صعبة، ص63.

² المصدر نفسه، ص81.

³ المصدر نفسه، ص95.

⁴ المصدر نفسه، ص135.

المبحث الثالث: تجليات في شعر فدوى طوقان.

أ- الإغتراب الاجتماعي: إن تحقيق الانسجام و المواءمة بين الفرد و الكل أمر في غاية الصعوبة، في ظل النقائص التي يحفل بها المجتمع، فالفرد و المجتمع يمثلان طرفي الصراع، فالشاعر بشكل خاص يعاني من صراع مع المجتمع الذي يعيش فيه، و هذا الصراع خاضع لثنائيات عديدة منها: العبودية و الحرية و الخنوع و التمرد و الانسجام و العزلة.... الخ و تشكل قيود المجتمع عائقا أمام نمو شخصية الفرد و تفتح عواطفه¹.

و يقول الشاعر ممدوح عدوان في مقدمة ديوانه " الظل الأخضر " مصورا علاقة المبدع بما حوله من عوائق اجتماعية تحوله بينه و بين الإبداع: إن الفنان إذ يكتشف صفائه يكتشف عكر العالم، و تصطدم صلابة صفاءه بصلابة العالم.

و فقدان فدوى طوقان للحرية الشخصية أدى بها إلى الاغتراب، اغترابها جعلها تتخذ موقعا من عادات المجتمع و تقاليدته التي حدثت من حريتها و انطلاقها، وتوظف الشاعرة كل العمل الفني صورة و لغة و رمزا و حوارا في قصيدتها " هو و هي " فنقول فيها:

هي المصباح و الهواء و الليل و الأحلام هواها

هي تلك الذرة الحيرى التي تاهت خطاها

في قفار الزمن الرهيب، الجبار في اللامتناهي

ذرة ضائعة فما تعرف في الكون اتجاها

هي و الصباح، مصباح عتيق نصف موقد

شاحب الضوء من الجوع، على الليل مشهد

¹ د محمد غنيمي هلال، في النقد التطبيقي المقارن، القاهرة، د. ط، دار النهضة، مصر، (القاهرة ب ت)، ص23.

مد في المخادع طرفا

راعش النظرة مجهد

كلما أنت على النافذة الريح تنهد

هي: حياتي يا عباس حلم مروع الأشباح

حلم أطبقت علي بهد ران سجن داج رهيب النواحي

عشت فيه مخنوقة الروح ظمناً

لندی الفجر للشذى للنور

الهواء الثقيل يكتل أنفاسي وقيدي

يغل دفق شعوري

كلما ضقت بالظلام و بالكبت تلفت

مثل طير مكبل

على فجر الخلاص يملح، لا شيء سوى الليل

ليل سجني المقفل¹.

إذا تصور " فدوى" في قصيدتها " هو و هي" الواقع المرير و المؤلم التي عاشته في ظل القيم الاجتماعية البالية التي حرمتها لذة العيش و الحياة و التمتع بجمالها، و جعلتها وحيدة كئيبة حزينة تقبع داخل جدران المنزل، كما يقبع السجين في زنزانه، و قد رمزت للنظم الاجتماعية التي أفقدتها حريتها ب: القيد تارة و بالجلاد تارة أخرى و قسوة هذا القيد.

¹ فدوى طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص220-225.

و تهور من جهة أخرى فدوى الجلاد أو العرف الاجتماعي وحشا رهيبا أليما، لا هم له إلا التلذذ بتعذيب الضحية، و هذه الضحية هي " المرأة " و حرمتها - التقاليد- من أبسط حقوقها، حقها في التعبير عن نفسها و حقها في الحب.

إذا انشق باب سجني أطلت

منها عين وحش رهيب كبير

هو جلادي اللئيم ربيب الحقد

و العنف و الأذى و الشرور

مستبد بالحكم، يسكره الشر

و تعذيب كل روح ضعيفة

كان لي من شذوذه كل يوم

و لقد كنت أنزوي و الأسى يطحن

نفسى الطموحة المخدولة¹

و صورت في قصيدتها " من الأعماق " استسلامها للوحدة التي أطبقت على حياتها و حرمتها التفاعل مع الآخرين، فهي تعيش في ظلام و عزلة، بلا رفيق يخفق المعاناة و يخرجها من عزلتها و أحزانها، و كل ما حولها يشعرها بلا شيئتها:

سرت و حدي في غرفة الحمر، في البنية المعمى، تيه الحياة السخيف.

لا أرى غاية لسيري...و لا أبصر قصدا يوفي إليه طريقي

¹ فدوى طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص225-226.

ملل في صميم الروح ينساب، و فيض من الظلام الدفوق.

و أنا في توحشي، تنقض الحيرة حولي أشباح رعب مخيف

سرت و حدي في التيه، لا قلب يهتز صدى خفقته بقلبي الوحيد

سرت وحدي، لا وقع خطو سوى خطوي على المجهول المخوف

البعيد لا رقيق، لا صاحب دليل، غير يأسى و وحدتي و شرودي

و جمود الحياة يضيء على عمري ظل الفناء ظل الهمود¹.

فهي قابعة، و متفوقة في أخز أنها، غير قادرة على الخروج من عزلتها لتقوم بواجبها اتجاه نفسها أولاً، ثم اتجاه مجتمعتها، و قد اشتدت عليها وطأة الوحدة و الانعزال².

ب- التشاؤم:

إن شعور فدوى طوقان بالعجز و عدم القدرة على التكيف مع العرف الاجتماعي الذي كان سائداً في فلسطين مع مطلع هذه الفترة، و عدم رضاها على تصرفات أسرتها معها و انتهاء تجاربها العاطفية بالفشل³، مكن النزعة التشاؤمية منها و جعلها تنظر إلى الحياة نظرة سوداوية، فهي لم تغن في المرحلة الأولى من حياتها للحب و الحياة، و إنما غنت لليأس والقنوط و الحزن و الكآبة و المعاناة الذاتية، حتى إنها استحققت صفة أشهر باكية في الشعر العربي الحديث⁴.

¹ فدوى طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص51.

² المصدر نفسه، ص52-53.

³ ابراهيم العلم، فدوى طوقان، أغراض شعرها و خصائصه الفنية، القدس للنشر و التوزيع (اتحاد الكتاب الفلسطينيين)، ط1، القدس، سنة1992، ص73.

⁴ أحمد دحبور، قراءة في فدوى طوقان، مجلة بيادر، العدد1، بيروت، سنة1999، ص95.

و تقول مصورة تمكن الحزن منها و سيطرته عليها في قصيدة " حياة " إذ تقول فيها.

حياتي دموع

و قلب و لوع

و شوق و ديوان شعر وعود

حياتي، حياتي أسي كلها

إذا ما تلاشى غذا ظلها

سببى على الأرض منه صدى

يردد صوتي هنا منشدا

حياتي دموع

و قلب و لوع

و شوق، و ديوان شعر وعود

بلبل الشحون

و عمق السكون

تمر أماي كحلم سرى

طيوف أجبائي تحت الثرى

فتزعج ناري خلف الرماد

دموع الحنين

إلى راحلين

مضوا و طواهم ظلام اللحد

بقلبي اليتيم تنادي كلومي

أطل بروحك يا والدي

لنتنظر من أفقك الخالد

فموتك ذل لنا أي ذل

ونحن هنا بين أفعى وصل

و نفث سموم وكيد خصوم

بدنيا العقوق، بدنيا الجحود

و يبدو خيال

يغفو الليال

خيال أبي شق حجب الغيوب

بعينيه ظل شعور كئيب

أراه فتهمي له ادمعي

و يحنو علي و يبكي

و أدعو: تعال

رجليك طال

يمن تستظل و أنت بعيد

و هذا شبابي

أمان كوابي

شباب سقاه الأسي

إذا ما دعته إليها الحياة

و أشواقها، شدة ألف غل

وطوقه ألف طوق

رهيب اغتراب

يضيع شذاه بأسر القيود

و أطرف رأسي

بوحشة يآسي

و في الروح تصخب أشواقها

و في النفس ترغد آفاقها

و أفرع للشعر عمر ذبيح

و تسكن لهفة روعي الشريد

و أجذب عودي

لقلبي الوحيد

فتخفق أوتاره باللحون¹.

فقد افتقدها الحزن الإحساس بالزمن، فعمرها يمر سنة من غير أن تعانق السعادة و
الفرح، كأنها تنتظر لحظة الموت بفارغ الصبر:

كبرت عن الطيش، صبرني الحزن

بنت مائة السنين².

و مهما حاولت أن تفلت من أسار الأحزان، إلا أن محاولاتها تبوء بالفشل، و كأنها خلقت
من أجل أن تعيش حياة حزينة كئيبة، و قد حرمتها الحزن التمتع بروعة الحياة و جمالها، و
غدا العالم عندها فقرا كئيبا لا حياة له:

في الليل حين تفلت الأحزان من إسارها

و حين وجهنا الاصيل يرفع القناع

تضنه الأحزان إلى قرارها

تمر كفها إلى العيون تحصد

النعاس من العيون

فيستبين العالم المصدع الأركان في أعماقها

قفرا كفها الحبيب

جبت يد القضاء سطرت مقورها الكبير و هي تعبت³

¹ فدوى طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص38-410.

² المصدر نفسه، ص 450.

³ المصدر نفسه ، ص329-330.

و ليس من مجير

و ليس من مجير

إن الحزن يخدم من منظور إيجابي التجربة الشعرية، فزعة الحزن في شعرها المعاصر قد أضافت إلى التجربة الشعرية بعامة آفاقاً جديدة، زادت ثراء و خصبا، و ولدت طاقات تعبيرية لها أصالتها و قيمتها¹.

ج- الإغتراب المكاني:

الأصل أن يرتبط الإنسان بالمكان الذي نشأ فيه ارتباطاً وثقياً، و لكنه إذا لم ينسجم مع مجتمعه فإن العلاقة بالمكان الذي نشأ فيه و ترعرع تضعف، و يشعر عندئذ بحاجته إلى الفرار من بيئته، فيختار لنفسه بيئة أخرى يحيا فيها بروحه و يخلق في أجوائها بخياله.

و يجد فيما يتصوره من فسيح رحابها متنفساً له، و عوضاً عما ضاق من بيئته التي يحيا بها، و التي لم يعد له قبل باحتمالها².

و شعور فدوى بالاغتراب الاجتماعي دفعها إلى التألق و الانسجام و التوحد مع المكان الذي عاشت فيه، فشعرت فيه، فشعرت من حياتها أنها مغتربة كل الاغتراب حتى أنها فضلت مصر على الوطن.

ففي قصيدتها " في مصر " تعقد مقارنة وبين مصر و الوطن، مصر موطن الحياة و الفرح و السعادة، و تدب فيها الحياة ليلاً و نهاراً، أما الوطن فلا شيء إلا المآسي و الآلام و الاغتراب، و ما مجتمعا لعاداته و تقاليدته إلا مقبرة جرداء، و لا معنى للحياة في الوطن، و

¹ عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضايا و ظواهره الفنية و المعنوية، دار الكتاب العربي للنشر و التوزيع، د. ط، سنة 1967، ص 372.

² محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، ص 87.

لهذا تجد فدوى في هذه القصيدة تتمنى أن تغترب عن الوطن و الإقامة في مصر التي منحتها السعادة لأيام قليلة.

" في مصر "

يا مصر، حلم ساحر الألوان، رافق كل عمري

كم داعبت روعي رؤاه فرق روعي خلف صدري

حلم كظلم الواحة الخضراء في صحراء قفر

أن أجتلي هذا الحمى....و أضمه قلبا و عينا

و اليوم في الحلم أنا، أم يقظة، أم بين بين؟

يا مصر، بي عطس إلى فرح الحياة....إلى الصفاء

يا مصر، نحن هناك أموات بمقبرة الشقاء

لا يطمئن بنا قرار....لا يعانقنا رجاء...

لا شيء إلا ضحكة الهزأ المرير على المباسم

كالضحكة الخرساء، قد يبست على فك الجماجم¹.

د- الاغتراب الزماني:

ويحاول الإنسان و الشاعر المغترب ألا يعيش في زمانه، فيتجاوز حاضره إلى مستقبل

زمني آمل أو بائس، أو إلى أن بغرق بضروب من أوهام العقل أو أوهام القلب، و فيها

¹ فدوى طوقان، الاعمال الشعرية الكاملة، ص80-81.

جميعها تتمثل أزمة الإنسان أو أزمة من أزمات الإحساس و الفكر كأشد ما عرف به الإنسان من أزمات الفكر و الشعور¹.

و يعد الاغتراب الزمان من أبرز مظاهر الاغتراب عند فدوى طوقان، فقد أثرت الانسحاب من واقعها المعاش.

غلى واقع الحلم و الوهم والخيال، و غرقت في بحر الأوهام، فتقول في مفكراتها: " لم يكن أمامي إلا الانعزال الكامل في قلب العلاقات البشرية المتشابكة من حولي، و الهروب من زمني البائس إلى الزمن الروائي حيناً و أحلام اليقظة و الشعر حيناً آخر"².

و تحلق في قصيدتها "أوهام الزيتون" و تضي على الطبيعة صوراً تزين لها عالم الحلم و الوهم فيقول فيها:

هنا، هنا، في ظل زيتونتي

تحطم الروح قيود الثرى

هنا، هنا، في ظل زيتونتي

في ضفة الوادي، يسفح الجبل

أصغي إلى الكون، و لما تنزل

آياته تروي حديث الأزل

هنا يهتم بقلب في عالم

تحلقه أحلامي المبهمة

¹ محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، ص 75-87.

² فدوى طوقان، رحلة جبلية- رحلة صعبة، ص 129.

لأفقه في ناظري روعة
و للرؤى في مسمعي هيمنه
عالم أشواق سماوية
تطلق روعي في الرحاب الفساح
حفيفه لا أرض تثنى لها
خطوا لا الجسم بهيض الجناح¹

و تصور الشاعرة في قصيدتها " هروب " نفسها غارقة في عالم الوهم، و تبرر لجؤها إلى عالم الوهم و الخيال بجور الواقع و فقدان الحرية، و صراع الإنسان مع أخيه، فعالم الواقع لا يحوي إلا المآسي و الأحزان و المصائب و الآلام، و لهذا تجدها تفضل أن تعيش مع أحلامها و أوهامها على العيش في ظل الواقع الواقع الزائف فتقول فيها:

بلى هي هذي المآسي الكبار تعذب فيك الشعور، فتنأين عن واقع رابع إلى عالم عبقرى
سحيق من الوهم، عالمك الشعاري المثالي مسرى الخيال الطليق².

و من مظاهر الاغتراب الزماني عند فدوى طوقان هو: موقفها من الزمن، فهي تصور
القدر شبها رهيبا يجثم على صدرها، و يعيق انطلاقها و يمنعها الحرية، إذ تقول: الصخرة
السوداء فسدت فوق صدري

بسلاسل القدر العتي

بسلاسل الزمن الغبي³

¹ فدوى طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص19.

²المصدر نفسه ، ص30.

³ المصدر نفسه، ص192.

المبحث الرابع: البحث على الذات.

لا يستطيع المبدع أن يستغني عن علاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه، على الرغم من كثرة التناقضات التي يحفل بها المجتمع، و هو مطالب بالتفاعل مع أبناء مجتمعه، و تحقيق الانسجام و المواءمة معهم.

فالفرد يسعى إلى التعايش مع الجماعة و تحقيق ذاته في الجماعة و ليس خارجها، و الشاعر الذي يفصل نفسه عن حركة الواقع ووعيه، شاعر مقتطع و مقتلع الجذور معلق في الهواء، و تسعة الجماعة لتكون منسجمة مع ذاتها و مع المجتمع و مع الحياة، و إذا شعر يحول بين صاحبه و خدمة المجتمع، و لكن الشاعر الأصيل لا يستطيع أن يعبر عن مجتمعه قبل أن يكشف أبعاد ذاته¹.

و قد عانت فدوى طوقان كثيرا من الاغتراب الذاتي و اغترابها في المجتمع، و كانت دائمة البحث عن ذاتها فهي في أعماقها رفض الخنوع و الاستسلام، و تأبى أن تبقى مغترية، و تقول مؤكدة ذلك مذكراتها:

" كانت هناك بذرة صغيرة، تأبى الاكتفاء بذاتها، و تتزع إلى التجدد و التغيير، تتزع إلى أن تصير شيئا آخر، فهي تأبى الثبوت و الاستقرار، كنت أحسن بتلك البذرة تتحرك في داخلي كدينامو لا يهدأ"².

و تقول: " كنت أحس في الوقت نفسه بال قالب الفولاذي الذي أقبع داخله، يعمل على خنق تلك البذرة لتصبح فيما بعد بركان يمكن أن ينفجر في أية لحظة، ليطيح بالقاعدة و الأساس الذي عليه ذلك القالب اللعين"³.

¹ إحصان عباس، اتجاهات الشعر العربي الأصيل، ط2، دار الشروق، عمان، سنة 1992، ص154.

² فدوى طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص99.

³ المصدر نفسه ، ص99.

و هي رغم ذلك، شخصية مقاومة أفضل مما كان مخططا لها، فهي في صراع بين شخصيتين.

شخصية مستسلمة للواقع الاجتماعي المزيف و يائسة من الحياة، و شخصية تتطلع إلى واقع أفضل، و تحاول أن تكتشف ذاتها و تحقيقها، و لكنها تنظر اللحظة الملائمة لتتشر حرسها و تعانق الحياة¹.

و يقول " هيجل " ان قهر الاغتراب الذاتي لن يكون إلا باسترداد الانسان لصفاته و خاصة الحرية، و امتلاك ذاته من جديد.

و لقد فقدت " فدوى طوقان " حريتها عندما أفقدها إياها المجتمع، و لم يتركها تعيش قصة الحب الطاهر مع أحد أبناء الحي، فأخذت تتغنى بالحب و العشق و تجاهر بعواطفها الإنسانية تقول:

كان لي الحب مهرا أحتمي فيه

إليه أفر من مأساتي

كان دنيا في أفقها الرحب أسترجع حريتي

أحقق ذاتي²

و قد هدأ هذا الحب من روعتها، و أشعرها بذاتها و إنسانيتها و حررها من الوحدة الزلة و أيقظ روحها و أنساها بعض الآلام و الأحزان التي سببها الاغتراب لها:

الهوى ملاذ

من ضياعي و ضياعك

¹ المصدر السابق، ص95-96.

² المصدر نفسه، ص227.

كان الاستقرار نفس لقيت نفسا و روح

عانقت روحا، لإرساء قلوب

عند بر آمن يمنحها دفء الحياة

و الهوى كان ليعطيها الرضا و البسمات

ولينسينا جراحات الليالي الموحشات¹.

¹ فدوى طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص306.

الختامة

الحمد لله على الختام، و صلي اللهم و سلم على سيد الأنام

إن لهذه الدراسة " الاغتراب في شعر فدوى طوقان" الدور البالغ و المكانة و الأهمية بالدرجة الاولى- هذا ما أفادنا- للشعر النسوي، أو بالأحرى لصوت المرأة الذي عادة لا تدق أبوابه إلا من حين لآخر، فأولت هذه الدراسة، و لهذا الغرض الذي في نظرنا لا يتطلع إلى ما كنا نصبوا إليه، اهتماما بالغا و ملحوظا بالدور الذي لعبته الشاعرات المعاصرات، صاحبات التجديد والإبداع الأدبي، و ما يزيد لفتا للانتباه، أن هذه الدراسة سلطت الضوء على ظاهرة تأصلت جذورها عبر التاريخ " ظاهرة الاغتراب" الذي اعتبر مسألة مهمة من مسائل الحياة و ركيزة من ركائزها، فهو لا يخص الشاعر فقها، بل الفنان و الفرد العادي و المتأمل و المغترب عن وطنه و البعد عنه، إذا فللاغتراب أهمية تظهر في كونه يمس جانبا من جوانب أزمة الإنسان الحديث و المعاصر.

و كانت الشاعرة الفلسطينية " فدوى طوقان" خير مثال في تجسيد هذه الظاهرة إذ عانت هذه الاخيرة الاغتراب بكل أنواعه وبخاصة "الذاتي والاجتماعي".

وتعرفنا على مفهومه وكذلك أسبابه، وعوامل الاغتراب في شعر فدوى، إضافة الى ايجابيات الاغتراب التي لم نكن نتوقع أن يكون للاغتراب انعكاسات ايجابية.

ومما نلخص إليه من خلال هذه الدراسة، أن الاغتراب ظاهرة مست العامة والخاصة، المبدع والفرد العادي والبسيط في المجتمع، تعددت أشكاله بتعدد عوامله وأسبابه، إذ أن الاغتراب هو مسألة تتعلق إلى حد كبير بالجانب الانساني، الذي يرتبط بدوره بالجانب النفسي والاجتماعي في الحياة الشاعرة -فدوى طوقان-.

و لله الحمد و المنة

ملحق

فدوى طوقان حياتها الشخصية و الأدبية و أعمالها الإبداعية:

أ- المولد و النشأة:

إنها فدوى عبد الفتاح طوقان، من مواليد 1917م على أرجح الأقوال، حيث ضاع تاريخ ميلادها من ذاكرة والديها كما ضاع حبها في قلبها ترجع أصول القبيلة إلى عائلة طوقان القادمة من تل طوقان في سوريا، عاشت في بيت محافظ يجمع في أرجائه بين الأصالة و الحضارة و الرقي، كان بمثابة مجتمع صغير يجمع العائلة الممتد و من أعمام و عمات و أبناء و أحفاد، كما يحوي العديد من التناقضات التي تجاوزتها فدوى منذ نعومة أظافرها، كان ترتيب فدوى السابعة بين البنين والبنات، هم: احمد، ابراهيم، بندر، فتايا، يوسف، رحمي، فدوى، أدبية، نهر، حنان، لم تحاول والدتها أن تجهض في اي من مرات حملها المتكرر وجاءتها الفكرة في المرة السابعة حين كان الجنين (فدوى) التي تولتها رعاية الله فثبتت في رحم أمها رغم المحاولة، من هنا تبدأ حكاية فدوى بما تسميه هي الإصرار والتشبث بالحياة.

ولأنها جاءت على كره من أمها لم تولدها أي عناية أو حب أو أسندت أمر رعايتها إلى فتاة تسمى سمراء وهي ابن الجيران وتعمل في خدمتهم، ضلت السمراء هي المرجعية الوحيدة لفدوى في قضاء حاجاتها المادية أو العاطفية من حب وحنان، وسط بيت يعج بساكنيه لكنه يفتقر الى كثير من الحب والاحترام، إذ كان منطق السيطرة فيه للرجل...

من هنا تبدأ رحلة فدوى داخل البيت، لقد أخذت دور المراقب والمدقق فيما يدور في اروقة هذا البيت الكبير الذي يحوي كثير من المتناقضات، ظلت هكذا الى أن خرجت الى العالم الأوسع عالم المدرسة، وهناك التقت بجو عائلي من نوع آخر جو يغذيه الحب الذي افتقدته في بيت العائلة، أحببتها معلماتها، اصبح لديها صديقات تطمئن اليهن وتلهو معهن بعد أن كانت تفتقد للصدقة داخل البيت حتى من ابنة عمها الصغيرة التي كانت العلاقة قائمة على الغيرة والحسد من قبل فدوى مما تلاقيه ابنة عمها من عناية وحب تغدقهما عليها أمها،

‘ضافة لسرعة تحقيق رغباتها المادية يضاف الى ذلك الفراغ الذي حدث بموت صديقتها الوحيدة عليا ابنة الجيران التي كانت المتنفس الوحيد لعدوى، معها الى المزارع والحقول التي تعشق السير في طرقها، و تصطحبها الى بيت أقاربها والى المواسم والاعیاد.

في المدرسة شعرت بكينونتها، وجدت نفسها التي طالما بحثت عنها، التقت من يحبها ويهتم بها من معلمات و زميلات، وجدت التقدير و التشجيع على تفوقها فأحست بذاتها وأحست أنها تحيي الحياة، لذا كانت المرسة هي النافذة التي فتحت لعدوى لترى من خلالها الضياء، و بها تنتسم عبير الصداقة و المحبة التي كانت عطشى لها باستمرار و أظهرت في المدرسة تفوقا واضحا، تفانت في الدرس حفظ القصائد و إلقاءها على معلماتها وزميلاتها، ظلت في المدرسة تنتقل من نجاح لآخر إلى أن كان اليوم الربيعي الذي رسم لعدوى طرقا جديدا، ليس بأزهاره و إنما بأشواك تلك الأزهار، وكتب عليها أن تسير به، لقد أبت الجبال بعورتها إلا أن تعترض طرقها، ووقف القدر لها بالمرصاد، لأول مرة تجد من تهتم بها و يلاحقها، و لأول مرة تشعر بأن أنوثتها تقدر، لقد أرسل إليها احد الشبان زهرة فل أثناء ذهابها للمدرسة وكانت الطرق إلى البيت محاطة بالدكاكين وسط السوق، فوشى أحد أصحاب هذه الدكاكين لأخيها يوسف و كان عنيفا في تعامله معها، حيث تصفه بأن التفاهم لا يعرف سبيلا.

سألها عن الأمر و اعترفت له بكل صدق و مع ذلك أتى أمر المحكمة التي لا رجعة فيه، و لا سبيل للرد أو الاستئناف أمامه، حكم عليها بالحرمان من أحب شيء لديها و هو الخروج للمدرسة و فرض عليها الإقامة الجبرية، فلا تغادر البيت إلا للقبر، ليتحول الحب إلى مفارقة عجيبة إلى لعنة تطارها.

لقد انهار الحلم إتمام تعليمها، دمر مستقبلها الذي تطلعت لان تكون شيئا مهما فيه و باتت رهينة المحبسين بالبيت و الجهل.

صدر الحكم الذي لا يستطيع أي شخص تغييره، انه قرار يوسف، لكن أين الأب؟

و ما دوره في قرار سيغير مسار حياة ابنته؟ انه تقرير مصيرا.

بعد أيام اكتشف والدها تغييبها عن المدرسة، سال والدتها لماذا لم تذهب هذه البنت إلى المدرسة؟ فقالت له من الأفضل أن لا تذهب لان البنت كبرت و مشاكل البنات هذه الأيام كثيرة، فلم يعترض؟؟ كان إبراهيم القلب حنون عليها، و من المؤكد أن يرى في هذا القرار حكما بإعدام أخته البريئة و في السن الصغيرة، و مع ذلك لم يملك أن يغير من الوضع شيئا، لكنه حاول أن يعرضها عن هذا الفقد لمورد هام من موارد الثقافة و العلم، أصبح لا يصلها من عالم الأدب إلا ما كانت تسمعه من إبراهيم، تصغي باهتمام شديد للطرائق الأدبية و التاريخية التي كان يطالعها في كتاب الأغاني أو العقد الفريد أو كتاب الحيوان و يرويها لهم، ثم أخذت تغذي ميلها الفطري للشعر بحفظ المحفوظات و الموشحات و تلقائها على الأشجار في صحن الدار متخيلة أنها جمهورا محتشدا، لقد فرض عليها البقاء رهينة المحبسين، و لكن هيهات لنفس أبية أن تتحمل ضيم الجهل و قد ضاقت حلاوة العلم و ان كانت لا تستطيع أن تخرج من سجن البيت فان عزميتها المتوثبة لقادرة على إخراج المارد من سجن الجهل، و الزمن كفيل بإخراجها من قمقم البيت

و في أحد الأيام دخل إبراهيم مسرورا يخبر أمه بان طلابه يكتبون الشعر فقالت فدوى له بعد أن سمعت ذلك هنيئا لهم فسألها إبراهيم: أتحبين أن تتعلمي كتابة الشعر؟ فقالت: يا ريت و كان أجمل يوم واعظ مفرخة لفدوى بعد ترك المدرسة لأنها ستحضن الكتب و تحمل الأقلام ثانية

فأخذها إبراهيم إلى غلافته و أعطاهها كتاب " ديوان الحماسة" لأبي تمام فتح الديوان على قصيدة لامرأة ترثي أخاها تقول:

طاف يبغي نجوة*** من هلاك فهلك

ليت شعري ضلة*** أي شيء قتلك

أمريض لم تعد*** أم عدو خنتك

أي شيء حسن *** لفتى لم يكن لك
كل شيء قاتل *** حين تلقى أجلك
و المنايا رصد *** لفتى حيث سلك
/2 صفاتها:

إن كل ما يقترب من فدوى، سواء وقف على حدود كتاباتها أم قرأ سيرتها الذاتية يلمس رقتها و بساطتها، صدقها و عفويتها، صراحتها ووضوحها، يضاف إلى ذلك أنها صدوقة تقدر الصداقة و تحترم كل من صادق، حتى أنها كانت تعتبر الصداقة أفضل من الحب، فهو و إن كان يحمل المشاعر التي تتجلى في الحب من حب و إخلاص ووفاء إلا أنها تسمو بالأصدقاء عن الأنانية و حب الامتلاك، ظلت فدوى حتى

آخر لحظة في حياتها تحترم أصدقاءها و تكن لهم كل الحب و الاحترام.

/3 تكريمها:

كرمت فدوى في حياتها و اهتمت بها معظم المحافل الأدبية عربية و غربية و منحت العديد من الجوائز منها:

- جائزة الزيتون الفضية لحوض البحر الأبيض المتوسط- باليرمو- ايطاليا 1978م.
- وسام القدس من منظمة التحرير الفلسطينية 1990م.
- جائزة المهرجان العالمي للكتابات المعاصرة، صاليرنو بإيطاليا.
- الدكتوراه الفخرية من جامعة النجاح الوطنية بنابلس، و كانت أكثر الجوائز تأثيرا في نفسها و بعد هذه الحياة الحافلة ارتقت شاعرة فلسطين الاولى و أميرتها الأعلى، في يوم الجمعة الثاني عشر من الشهر الثاني عشر للعام 2003م كعادتها تودع العام لكن هذه المرة لن تستقبل الذي يليه، في قصة كفاح امتدت عبر أكثر من سبع وثمانين سنة.



قائمة

المصادر والمراجع

القران الكريم برواية حفص :

- 1- ابراهيم العلم، فدوى طوقان، أغراض شعرها و خصائصه الفنية، القدس للنشر والتوزيع (اتحاد الكتاب الفلسطينيين)، ط1، القدس، سنة1992.
- 2- ابراهيم أنيس و آخرون، المعجم الوسيط (مادة غرب)، ط2، القاهرة، مصر، 1982.
- 3- ابن القيم الجوزية، مدراج السالكين، ط1، القاهرة، مصر، 1992.
- 4- ابن منظور، لسان العرب (باب الباء فصل الغين)، ط3، دار احياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، 1999، ج 10 .
- 5- إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي الأصيل، ط2، دار الشروق، عمان، سنة 1992.
- 6- إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ط1، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الكويت، سنة1978
- 7- أحمد دحبور، قراءة في فدوى طوقان، مجلة بيار، العدد1، بيروت، سنة1999
- 8- الإمام على، نهج البلاغة، ط1، دار البلاغة بيروت، القاهرة، 1989
- 9- بسام فرنجية، دراسات في الرواية الفلسطينية، د. ط، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، لبنان، 1982، .
- 10- جبرار الجهامي وسميح الدغيم، الموسوعة الجامعة لمصطلحات الفكر العربي الإسلامي، ط1، مكتبة لبنان، ج1، 2006.
- 11- حازم خيري، الاغتراب الثقافي للذات العربية، ط1، دار العلم الثالث، القاهرة، مصر، 2006، .
- 12- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم و الواقع، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر التوزيع، الحمراء، بيروت، 2006 .
- 13- د محمد غنيمي هلال، في النقد التطبيقي المقارن، القاهرة، د. ط، دار النهضة، مصر، (القاهرة ب ت).
- 14- د. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، ط1، سنة2006.
- 15- الرازي، الصحاح (مادة غرب)، ب. ط، مكتبة لبنان، لبنان، 1989.

- 16- ريتشارد شاخت، الاغتراب، تر، كامل يوسف حسين، ط1، المؤسسة العربية للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1918.
- 17- شاخت، ريتشارد: الاغتراب، ترجمة: كامل يوسف حسين، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، سنة1850.
- 18- طالب ياسين، الاغتراب تحليل اجتماعي و نفسي لأحوال المغتربين و أوضاعهم، ط1، المكتبة الوطنية للنشر و التوزيع، 1992.
- 19- عبد الكريم هلال، الاغتراب في الفن، ط1، جامعة قارينوس، ليبيا، 1988.
- 20- عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضايا و ظواهره الفنية و المعنوية، دار الكتاب العربي للنشر و التوزيع، د. ط، سنة1967.
- 21- فتحية إبراهيم صرصور، خصائص الأسلوب في شعر فدوى طوقان، (ب.ط)، دار الصداقة الثقافي، غزة، سنة 1426هـ الموافق لـ2005.
- 22- فدوى طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، سنة 1993.
- 23- فدوى طوقان، رحلة جبلية- رحلة صعبة، ص25 المصدر نفسه، ص 10-11 فدوى طوقان، رحلة جبلية- رحلة صعبة.
- 24- فدوى طوقان، رحلة جبلية رحلة صعبة، ط2، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 1985.
- 25- محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر مرحلة الرواد، د. ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.
- 26- محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العراقي، (ب ط) منشورات اتحاد الكتاب العرب، د. ب، سنة 1999.
- 27- محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، د. ط، بيروت، دار العودة، لبنان، 1986
- 28- محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، (ب ط)، دار نهضة مصر للطباعة و النشر، مصر القاهرة، سنة 1986.
- 29- محمد موسى البلولة الزين، دراسة حول الاغتراب في الحنين في الشعر المجهري

- 30- محمد موسى البلولة، دراسة حول الاغتراب و الحنين في الشعر المجهري، أشرف د . مهدي مأمون، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، السودان، سنة 2010.
- 31- محمود رجب، الاغتراب، الاسكندرية، (ب ط)، منشأة المعارف للنشر، مصر، سنة 1978.
- 32- صلاح نيازي، الاغتراب و البطل القومي، ط1، مؤسسة الانتشار العربي بيروت، سنة 1999.
- 33- مها عبد الله الزهراني، الاغتراب و الحنين بين شعر المشاركة و الأندلسيين، ط2، التمام للنشر و التوزيع، السعودية، 2004.
- 34- هيام رمزي الدردنجي، فدوى طوقان شاعرة أم بركان، دار الكرمل، ط1، عمان، الاردن، 1994.
- 35- هيام رمزي، فدى طوقان الشاعرة، ط1، دار الكرمل للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، سنة 1994.
- 36- ياسين، الاغتراب تحليل اجتماعي ونفسي لأحوال المغتربين و أضعاهم، ط1، المكتبة الوطنية للنشر و التوزيع، عمان، 1992.
- 37- يحي الجبوري، الحنين و الغربة في الشعر العربي، ط1، دار مجدلائي، عمان، الأردن، 2008.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

	شكر و عرفان
أ	مقدمة
5	مدخل
الفصل الأول مفهوم الاغتراب في الشعر و ماهيته	
7	المبحث الأول: مفهوم الاغتراب
7	أولاً: تعريف الاغتراب لغة و اصطلاحاً
13	ثانياً: أسباب الاغتراب و دوافعه
16	المبحث الثاني: أنواع الاغتراب في الشعر
20	المبحث الثالث: أهمية الاغتراب أبعاده و دلالاته
الفصل الثاني الاغتراب عند فدوى طوقان	
25	المبحث الأول: فدوى طوقان و تجربة الاغتراب.
33	المبحث الثاني: عوامل الاغتراب في شعر فدوى طوقان.
38	المبحث الثالث: تجليات الاغتراب في شعر فدوى طوقان.
38	أ. الاغتراب الاجتماعي
41	ب. التشاؤم
46	ج. الاغتراب المكاني
47	د. الاغتراب الزمني
50	المبحث الرابع: البحث على الذات.
54	الخاتمة
56	ملحق
61	قائمة المصادر والمراجع
	فهرس الموضوعات

ملخص:

الاغتراب ظاهرة إنسانية، نفسية و اجتماعية عامة تزايد الاهتمام بها في السنوات الأخيرة، نظرا لأعراضها التي باتت تهدد الإنسان في مختلف مجالات حياته، خاصة و أنها مرتبطة بالتطور السريع الذي يعيشه المجتمع الإنساني.

وهو ظاهرة متعددة الإبعاد، إذ تتكون من: العجز، اللاشيء، اللامعنى، للأهداف، الاغتراب الاجتماعي، الاغتراب الثقافي.

ويمكن مواجهة الاغتراب إذ لم نتمكن من الوقاية منها بعدة أساليب أهمها العمل على توفير جو من الألفة، التفهم، و الثقة بالذات.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب، فدوى طوقان، الاغتراب الذاتي.

Abstract:

Alienation is general, psychological and social phenomenon which takes core and interested by scientists later due to its effects which threat the human being in each domain in his life especially that has related with rapid development.

It is phenomenon which has a lot of meanings such as Insufficiency meaningless, witch , goals, social alienation and cultural alienation the alienation.

We can challenge the alienation if we can't to protect by a lot of manners the most important one is making lovely atmosphere take core and self-confidence.

Keywords: expatriation, TOUQAN Fadoua, self-alienation